د. بشرى عناد

الفصل السادس

الطفولة الوسطى والمتأخرة
من سن 6 إلى 11، 12 سنة

يقسم بعض الباحثين هذه المرحلة إلى اثنتين إحداهما تنتهي في سن الثامنة، والأخرى تنتهي في سن الثانية عشرة.

وبانتقال الطفل إلى سن السادسة وحتى سن الثانية عشرة يدخل في مرحلة الطفولة المتأخرة؛ ويطلق على هذه المرحلة أحياناً مرحلة الطفولة الهادئة كعلامة على اختفاء مظاهر الضجيج والصخب والعناد الشائعة في المرحلة السابقة؛ فببداية السنة السادسة يدخل الطفل المدرسة، ويتغير أسلوب حياته فيميل إلى الاستقرار الانفعالي والضبط، ويسير النمو في هذه المرحلة مع التطور في جوانب متعددة من النشاطات الحسية، والحركية والمعرفية، والاجتماعية والأخلاقية، ويعتقد كوهلبرج (Kohlberg) ـ وهو أحد العلماء البارزين في دراسة الارتقاء في الجانب الأخلاقي ـ أن جوانب الوداعة والتهذيب في السلوك التي تميّز هذه السن تأتي مصاحبة أو ناتجة من إنبثاق مبدأ أخلاقي جديد في حياة الطفل مؤداه أن لكل شيء مقابلاً: التصرف الأحمق يؤدي إلى العقاب، والتصرف المهذب يتلوه شيء طيب ومناسب.

وتلعب جماعات الأصدقاء واللعب في هذا السن دوراً مهماً من حيث تطبيع الطفل على كثير من العادات الاجتماعية. وتثور بين الطفل وبين الأبوين أحياناً بعض الصراعات والخلافات بسبب الولاء للأقران وما يفرضه هذا الولاء أحياناً من متطلبات تتعارض مع الوالدين. وتتصاعد أهمية الولاء لجماعات الأصدقاء كلما تقدم الطفل في العمر حتى يصل إلى حده الأقصى في مرحلة المراهقة[1].

---

(1) Guilford, J.P. Creativity (Presendential adress). In Sparnes and H. Harding (Eds), A source book of Creative thinking. New York: Serifner, 1962.

ويصف علماء النفس خصائص التطور في هذه المرحلة بما يلي:

1 ـ تعلم المهارات الجسمية الضرورية لممارسة الألعاب العادية.

2 ـ تعلم المهارات الأساسية التي تساعد على القراءة والكتابة والعد وإجراء العمليات الرياضية.

3 ـ تطور في المفاهيم الرئيسية التي تساعد على ممارسة النشاطات العادية.

4 ـ تطور في المفاهيم عن الذات باعتبارها كائناً ينمو ويتطور.

5 ـ النمو في الجانب الأخلاقي، ومعرفة الحكم على الأشياء والأفعال من حيث الصواب والخطأ من وجهة نظر القيم والأخلاق السائدة.

6 ـ تعلم التوافق والأقران وتقبُّلهم.

7 ـ وضوح الدور فيقوم الطفل الذكر بأداء الدور الذكوري والبنت بالدور الأنثوي بطريقة واضحة.

8 ـ يتمكن الطفل من تحقيق الاستقلال الذاتي.

وبانتهاء هذه المرحلة، يكون الطفل قد استقر بشكل ثابت نسبياً على كثير من الخصائص الشخصية والآراء. ولهذا، يعتقد علماء النفس بأنه بالإمكان التنبؤ بخصائص شخصية الطفل المستقبلية من خلال ملاحظته في ما بين سن العاشرة والثانية عشرة. ويظهر هذا في دراسة قامت بتتبع عدد من الأطفال ابتداءً من السنة السادسة حتى المراهقة، فتبيَّن وجود ارتباط قوي ما بين خاصيتين: هما الميل إلى الانسحاب والسلبية، وسرعة الاستثارة والغضب. بقولٍ آخر إنه من الممكن ـ بملاحظة الأطفال في المراحل المتوسطة ـ التنبؤ بسلوكهم في المراهقة من حيث مدى الانسحاب أو العدوانية والغضب، على أساس أن هذه الخصائص تستمر معهم في مراحل التطور التالية.

توازي الشريحة العمرية من سن 6 إلى 12 سنة بالنسبة للمحللين النفسيين «فترة الكمون». تتميَّز هذه المرحلة بتراجع المرحلة الأوديبية؛ إذ إن حلِ هذا الصراع سيمكن الطفل من بلورة هويته الجنسية وكذلك بناء جهازه النفسي وخصوصاً «الأنا الأعلى»، أي الممنوعات. من هنا تكلمنا آنفاً عن انبثاق المبدأ الأخلاقي أو الحس الأخلاقي. في السابق كان الطفل منجذباً نحو أحد الوالدين الذي يختلف عنه في الجنس، ولكنه كان يشعر بالذنب وبالعدوانية نحو أحد الوالدين الذي من جنسه ويعتبره منافساً له؛ فالقوة

الغريزية التي كانت متمركزة حول هذا الصراع قد تحررت الآن، وبالإمكان أن تستخدم للوصول إلى أهداف أخرى، وخصوصاً التعلم المدرسي (القراءة، الكتابة، العد، . . .) خصوصاً أن علماء النفس قد أكدوا أن الاضطرابات الانفعالية ـ وخاصة اضطرابات تحقيق الهوية ـ واضطرابات التعلم غير منفصلة بتاتاً.

1 ـ خصائص النمو العامة:

بعد السنة الخامسة، كل سنة تمر تحمل إلى الطفل الكثير من النضج غير المرئي عكس ما كان يحصل في المراحل السابقة. ويكاد لا يلاحظ تطور الطفل هذا سواءٌ كان في البيت وفي المدرسة.

تتسم هذه السن بالهدوء، ويعمل الطفل على تنظيم ما تعلمه سابقاً؛ هذا، ولا تزال الأم تلعب الدور الأساسي في حياة الطفل.

وهو الآن يعرف مكان ألعابه وثيابه، ويعرف المحلات المحيط ببيته، كما أنه يتقبل تماماً مجتمع المدرسة، وهو يحاول أن يكون في علاقة مباشرة بالواقع؛ لذلك، فإنه لم يعد يستمتع بقصص الجنايات أو الروايات الغريبة. ويظهر لديه حب التملك وهو يعتبر كل ما يعجبه ملكاً له ولكن من دون استخدام العدوانية. وهو سن «اللماذا؟» «كيف يمشي هذا الشيء؟» «لماذا نستخدم هذا؟» بالرغم من أنه يعطي الطفل المحيطين به انطباعاً بالاستقرار والحكمة؛ وهو يستخدم الأشياء المحيطة به أو أنه قد يطلب مساعدة المحيطين به من أجل ذلك. وهو سيكون جد فخور إذا أوكلنا إليه مهمة معيَّنة. أما اللعب في إطار مجموعة فهي مؤلفة على الأرجح من ثلاثة أطفال، ولا تزال أهدافه فردية وذاتية من خلال اللعب مع الآخرين.

وهو يمتلك الآن حوالى ألفي كلمة يستطيع أن يتلفظ بها بصورة صحيحة، وهو يستطيع رواية قصة بالرغم من الإحيائية التي لا تزال تسيطر على تفكيره. وعندما يخاف فهو يخاف من أشياء محددة وخلال فترة قصيرة. وعندما تعترض نومه الكوابيس فهي تتناول الحيوانات.

في بداية السنة السابعة يتغير سلوك الطفل جذرياً، وتسقط أسنان الحليب وتظهر الأسنان الدائمة. وهو هنا في حالة نمو وتطور تامين؛ من أجل هذا نجده صعباً، وتظهر لديه ميول متناقضة؛ فهو يعبِّر عن رغبات وأفكار متناقضة في الوقت نفسه؛ فهو فريسة التناقضات فهو قد يظهر حناناً كبيراً تجاه أمه وفي اللحظة نفسها يظهر بعض القسوة

تجاهها، وتلعب المعلمة دور الأم الثانية، فهي التي تشعره بالأمان في عالم يختلف عن المنزل.

مع بداية السنة الثامنة يسكن الطفل هدوء طالما تمناه الأهل، فقد اختزن الطفل العديد من التجارب التي يقارنها ببعضها وهو ينظر إلى العالم نظرة جديدة. وهو هنا كثير الأحلام ويرفض أن نمنعه من ذلك. وقد أصبح كثير التفكير بعد ان كان صاخباً، ويتراجع التمركز حول الذات بعض الشيء تاركاً المجال للانفتاح على الآخرين. وهو يرى أمه بطريقة مختلفة ويعرف أنها ليست له وحده. ويمكن اعتبار هذه السنة بأنها عمر العقل والعقلانية. ويكتسب الكبار المحيطون بالطفل أهمية بالنسبة له مثل المعلمة، العم، الخال، الخالة... إلخ، وهو يستخدم كلمة «نحن» ويقدم بعض الخدمات في المنزل، وقد يحدث أن يظهر المعارضة وعدم الطاعة دون أن يتميز ذلك بغضب السنوات السابقة، ولكنه ينسحب وينطوي على نفسه ثم يخرج الطفل من انطوائه ومن حالة المتفرج إلى مشاركة الآخرين الحياة والنشاطات.

ويستيقظ الحالم ويُحدث الكثير من الضجيج والحركة، ويتغير جسده بصورة كبيرة: وتبدأ الفروق بين الجنسين من حيث الشكل. الصفات الأساسية لطفل الثامنة بالإمكان أن تتخلص: التفهم، قلة الترتيب، العفوية، وقدرات جديدة لتفهم الآخرين.

في سن التاسعة تحدث تغييرات كبيرة قد لا يلاحظها المحيطون بالطفل، هذه السن هي الخط الفاصل بين الطفولة وبين المراهقة المبكرة. لا يزال الطفل بحاجة إلى الحركة والنشاط ولكنها حركة في خدمة أهداف محددة. وهو بحاجة إلى الحركة لحاجته إلى استهلاك الطاقة التي يختزنها. والطفل في هذه السن بحاجة إلى استباق الأمور، والتنظيم والتفكير قبل البدء بالعمل. والدوافع الشخصية هي محرّك الطفل الأساسي. ولا يزال الطفل يُظهر بعض خجل الأطفال الصغار، وانفعالاتهم وتغير مزاجهم، ولكن شخصيته الأساسية قد أصبحت كاملة التكوين؛ فعواطفه ثابتة، وكذلك إحساسه بالعدالة، وهو يمتنع عن الكذب من أجل تغطية خطأ ارتكبه، ويتكوَّن لديه نوع من الحس الأخلاقي الداخلي، ويرتبط بوالده، ويشعر بالأخوة نحو رفاق صفه. في هذا العمر يفضل الطفل القيام برحلة مع الرفاق على نزهة عائلية. جهود طفل التسع سنوات لا تتوقف، وهو يتمتع بحيوية طفل الثماني سنوات، ولكن هنا النشاط موجَّه نحو أهداف محددة؛ وما يميِّز هذا العمر هو بعض مظاهر الاحتقار للجنس الآخر، ويشكل هذا الوجه أحد معايير نمو الطفل.

الانتقال من سن التاسعة إلى سن العاشرة من العمر يحدث بشكل تدريجي ومتصل في الوقت نفسه، والخطوة الكبيرة للانتقال إلى المراهقة المبكرة تبدو غير واضحة بالنسبة للمحيطين بالطفل؛ هنا الطفل صادق ومتعلق بأسرته، ويحاول حماية الأطفال الأصغر سناً، تهتم الفتيات بالصغار، وما يلاحظ هو انعدام الانسجام بين الجنسين؛ فهناك صداقات متينة بين الفتيات وبينهن فقط؛ ولكن الفتيان يبقون رفاقاً فقط مع زملائهم في الصف أو عند اللعب. في هذا العمر يحب الأطفال أن يتعلموا أشياءَ جديدة بصورة دائمة؛ ذلك أن الذاكرة قد اكتسبت إمكانات كبيرة ويشعر الأطفال بشوق شديد إلى المعرفة. ويصبح الطفل أكثر واقعية من ذي قبل، فهو مسرور بالحياة، ويتكيف بشكل جيد، كما أنه يتوجه إلى نفسه بالنقد الذاتي.

طفل سن الحادية عشرة مختلف فهو يتميز بفضول قوي، يتكلم دون توقف، وهو كثير الحركة، كما أن حياته العاطفية زاخرة بالانفعالات، تظهر عنده نوبات غضب وكذلك لحظات حنان كبير. هو متقلب المزاج، يحاول أن يستكشف المحيط، ويشارك في النشاط غير النظامي (اللاصفّي)، يستمتع بقضاء أيام عند رفاقه، ويقدِّر كل ما هو جديد، كل ما يساهم في تنميته واستقلاله، ولكنه سريع الانفعال، متقلب المزاج، يضحك بدون أسباب معينة، كثير الانتقاد لمن حوله.

بعد سن الحادية عشرة المتصفة بالاضطراب، تشعر الأمهات بالراحة أمام طفل الثانية عشرة من العمر، فقد تخلص الطفل من التمركز حول الذات، واكتسب مفاهيم تتعلق بالواقع، وهو يأخذ في الحسبان أنه قد كبر، وتهمه آراء الآخرين، ويلجأ إلى الآخرين، كما أنه يتصف بروح النكتة. رغبته في التعلم كبيرة جداً، وفضوله لا يُحَدّ. هو في عمر تكوين شخصيته، وهو واثق من نفسه، وواقعي؛ ويشعر بالإمكانات الكامنة فيه. وهو يتخيل كيف سيكون في المستقبل.

ومن المهم أن نذكر بالنسبة للنمو الجسمي دور التغذية؛ ، ذلك أن تغذية طفل المدرسة تعني التعرف على متطلبات الأطفال من التغذية بالقدر الذي يستوفي احتياجاتهم منها في السن المدرسي أما التغذية المدرسية للأطفال فتعيِّن المدرسة في مساندة متطلبات تغذية الأطفال الذين في عمر السن المدرسي، بما للتغذية من تأثير على التحصيل المدرسي والأداء الدراسي للطفل.

إن تأثير التغذية على مرحلة الطفولة يرجع إلى كونها العامل الأساسي والمحدد لتطوير النمو الطبيعي للطفلْ ووقايته من المرض من خلال تقوية جهازه المناعي، كما أن

اختلالها ينعكس سلبياً على صحة الطفل على نحو قد يصيبه بعاهات مزمنة؛ هذا بالإضافة إلى أن نقص اليود يؤدي إلى التخلف العقلي والبلاهة والعته والصمم، ونقص الكالسيوم يؤدي إلى الكساح وضيق القفص الصدري وعظام الحوض وتشوه العمود الفقري، أما الإفراط في السكريات فيؤدي إلى التهيج الحركي وتسوس الأسنان.

واختلال الأغذية يضعف من قدرات الطفل على التحصيل الدراسي والأداء المدرسي بمستويات قد تقود إلى تخلفه وعجزه عن استكمال مساراته التعليمية؛ إذ يؤدي نقص الحديد إلى ضعف القدرة على الفهم والتركيز والاستيعاب والتذكر، وتصيب السمنة الأطفال بالخمول والكسل والتبلد الذهني والاجهاد، ويقود النحول إلى سرعة التعب وضعف القدرة على الفهم والتحصيل.

وعلى العموم؛ فإن النمو الجسمي يبطؤ في هذه المرحلة؛ ومعظم التغيرات تكون تغيرات في النسب الجسمية أكثر منها تغييراً في الحجم.

وتصل نسبة حجم الرأس إلى حجم رأس الراشد في نهاية هذه المرحلة، وتستطيل الأطراف ويزداد نمو العضلات.

يبطىء نمو الطول والوزن.

في نهاية هذه المرحلة تكون الإناث أكثر طولاً ووزناً من الذكور.

يقترب الجسم من نموه الكامل، والأطفال يعانون من مشكلات في نمو الأسنان المستديمة؛ وعلى العموم فإن صحة الطفل في هذه المرحلة تكون جيدة.

2 ـ النمو الحركي:

بعد سن الخامسة من العمر يستطيع الطفل التوجه في المكان، وهو يمشي بخط مستقيم، وهو يستخدم تتابع قدميه عند صعود السلالم أو النزول منها، كما أنه يستطيع ركوب الدراجة، وهو يستطيع ربط شريط حذائه، كما أنه يزرر ثيابه، ويستطيع تقليد نموذج معين، وهو يتميز بمهارات يدوية واضحة.

يقضي طفل الست سنوات أوقاته في الحركة والرقص، وهو لا يثبت على لعبة أو نشاط معين، يحب تسلق الأشجار، يفتش عن الصراع والألعاب العنيفة، يتأرجح ويقفز من دون توقف.

يستخدم طفل السادسة يديه لاختبار الأشياء، تقضي الفتيات أوقاتهن في إلباس

العرائس ثياباً ثم خلعها عنها. ولكن طفل الست سنوات لا يستطيع الإمساك بالقلم كما يجب، أثناء الكتابة أو التلوين ينحني ويحرك رأسه. وهو غير دقيق أثناء القيام ببناء الأشكال، كما أن نظراته تكون قليلة التركيز.

يتميز طفل السبع سنوات بأنه أقل حركة منه في السنة السابقة، بالرغم من أنه في بعض الأحيان يتصف بحركية زائدة، وهو يُظهر قلقاً عند القيام بإنجاز أعمال معينة، وهو يعيد العمل عدة مرات حتى يستطيع إتقانه. تلعب الفتيات ألعاباً تتطلب توازناً ودقة، كما أن الفتيان يمارسون ألعاباً تتطلب تحديد الهدف والوصول إليه. في السنة السابعة فإن الطفل يتحكم في نظره وفي حركات يديه. وهو يستطيع المكوث مدة طويلة في وضعية معينة، نراه أثناء الكتابة وقد أسند رأسه إلى ذراعه.

ويستطيع الطفل في سن 6، 7 سنوات أن يقفز قفزات عالية، يقف على ساق واحدة لمدة 8 ـ 10 ثوان وعيناه مغمضتان، يثب إلى مسافة طويلة؛ كذلك تكون حركة الجسم متطورة وأيضاً النشاط الحركي، يحرك الطفل جسمه بحرية، يثب إلى مسافة طويلة (1م)، يقفز على رجلٍ واحدة، «يتشقلب» على رأسه.

يتلقى الطفل أفضل التدريب من خلال القدرة على التحرك يومياً، ويفضل أن يكون في الهواء الطلق، وعند الطفل حاجة عفوية تحثه على التحرك، وهناك ألعاب كثيرة بإمكان المرء أن يستنتجها من خلال متطلبات الأطفال العفوية للحركة، وعدم السماح للطفل بالتحرك لا يعني أنه يستطيع أن يجلس ساكناً.

في أحد البرامج التي ترعى «الأطفال المشردين»، تألفت «تجهيزات الهواء الطلق» من فناء مرصوف فيه 20 إطار سيارات قديمة ابتكر الأطفال منها ألعاباً كثيرة جيدة فكانوا يركضون ويدحرجون الإطارات ويقفزون عليها، ويمرون عبرها، ويخرجون منها، ويقفزون فوقها، ويضعونها في صف ويقفزون في أشكال معقدة، وقد تنافس الأطفال في الركض والقفز بطرق مختلفة، ووقفوا على أيديهم مستندين إلى الجدار من الوراء أو من الأمام، ولعبوا ألعاب وثب مختلفة وألعاباً غنائية بإيقاعات مختلفة وتبادلوا ركل الكرة ورميها.

في السنة الثامنة ترتفع قدرة الطفل النفس ـ حركية. ويتصف الفتيان بالقوة الذكورية. وبالإجمال، فإن طفل الثماني سنوات يتمتع بقدرة كبيرة على التحكم في حركات الجسم وتوازنه، وهو عفوي ويهوى الحركات المسرحية والإيماء. ويهتم بالرياضة والسباق، ويظهر قدراً كبيراً من الشجاعة والمبادرة، ويستطيع تركيز نظره

بصورة أفضل من ذي قبل.

في السنة التاسعة يعمل الطفل ويلعب بحماس كبير، ويهتم بالسباقات الرياضية، ومن الصعب عليه استعادة هدوئه بعد مجهود عنيف. في هذه السن يكتشف الطفل قدراته في استخدام يديه، يرسم بدقة مع الكثير من التفاصيل، يواصل الكتابة لأوقات طويلة دون أن يتعب، ويحدق في الأشياء دون أن يشعر بالكلل.

في السنة العاشرة تتغير كلياً البنية الجسدية، ويشعر الطفل بالسعادة كونه ناشطاً. وتُظهر الفتيات بعض علامات البلوغ. يتميز الفتيان بنمط من النمو أقل سرعة من نمط نمو الفتيات، ولكنهم يكونون أكثر قوة، ويتميز طفل العشر سنوات بالثبات في المستوى الصحي.

في سن الحادية عشرة من العمر، يحاول الطفل استهلاك الطاقة التي يخترنها، فهو يتأرجح على كرسيه، ويداه في حركة دائمة، ويمثل الطفل في هذه السن نموذج الطفل الزائد الحركة.

طفل الحادية عشرة أصبح في السنة الثانية عشرة هادئاً، ولكنه لا يزال مليئاً بالحيوية، غير أنه يستخدمها ضمن خطة معيَّنة وللوصول إلى هدف معيَّن، تُظهر الفتيات الكثير من الحماس للاهتمام بالأطفال الصغار، والفتيان يظهرون اهتماماً كبيراً بالرياضة، وهو حين يمارس الرياضة لمدة طويلة يشعر بالتعب الشديد.

النشاط الحركي:

يتمكن طفل السادسة والسابعة من العمر القيام بما يأتي:

- يمكنه تقدير حرارة المياه.
- يمكنه أن يميز أشكالاً مختلفة باللمس دون النظر إليها مثل المستطيل والمثلث والبيضاوي.

يكون النمو الحركي أكثر وضوحاً في هذه المرحلة، وتمتاز حركات الطفل بالقوة والوضوح والدقة والحركة المستمرة، وأهم المهارات الحركات التي يستطيع القيام بها تكون مثل ركوب الدراجة ذات العجلتين، ممارسة السباحة، والسباق، لعب كرة القدم، الألعاب الرياضية المنظمة التي تتطلب سرعة ودقة وتآزراً حركياً.

تزداد قوة الطفل حوالى الضعف عند الطفل في عمر 6 سنوات مثل قوة القبض

وقوة الحركة وقوة القدم والسباق.

يستطيع الطفل أن يقوم ببعض الأعمال الشخصية مثل (ارتداء الملابس، الاستحمام)؛ ويتمكن الطفل في بداية سن السادسة من السيطرة على عضلاته الكبيرة، في حين أن سيطرته على عضلاته الدقيقة لا تظهر قبل سن الثامنة.

نلاحظ قدرة الطفل على ضبط حركات العينين وأعضاء النطق مما يساعده على التعبير اللغوي وحركات أصابع اليد التي تستخدم في الكتابة.

الطفل في هذه المرحلة ماهر في عمليات الدق والحفر واستخدام الأدوات وكل ما تقع يداه عليه.

كثيراً ما نلاحظ أن أطفال سن السادسة لا يستطيعون الكتابة بدقة أو لا يملكون القدرة على مسك القلم باتزان، وكثيراً ما تحدث مشكلات لغوية وعيوب في النطق والتأتأة لعدم الدقة في التآزر الحركي، وقد تزول هذه العيوب عندما يبلغ الطفل الثامنة أو بعدها عندما يصل الطفل إلى نضج معين في نموه الحركي.

الفروق بين الجنسين:

يتميَّز البنين عن النبات في المهارات الحركية التي تحتاج إلى قوة عضلية وعنف كركوب الدراجة، لعب كرة القدم، السباحة، الجري، القفز، التسلق، وتتميز الإناث بالحركات التي تتطلب دقة وإيقاعاً والمهارات الحركية الدقيقة.

يحب الأطفال الإثارة ويفرحهم كثيراً اجتياز «سباق الحواجز» وبالإمكان أن نضع لهم برنامجاً قصيراً يقومون بتنفيذه مرات عديدة في الأسبوع.

ويستطيع الطفل أن يزحف على شكل دائرة.

يمشي مستقيماً كالدمية ويحرك ذراعيه.

يمشي على رؤوس الأصابع.

يمشي على الكعبين.

يركض.

ويحب الطفل أن يستلقي على الأرض ويستمع إلى شيء من الموسيقى، أو أن يستلقي ويستمع إلى شخص يقرأ له؛ ويحب الأطفال ألعاب الكرة والاختباء والبحث

والوثب، والقفز في كيس، والمصارعة بالأيدي.

يعرف الطفل في سن 6، 7 سنوات حوالى 30 عضواً في الجسم.

يعرف ما يوجد في وسط «الغرفة».

يمكنه تقليد حركات أكثر صعوبة.

يعرف الفارق بين التوتر والاسترخاء.

يستطيع الطفل السيطرة على عضلات الوجه، كإغماض عين واحدة، وإظهار الفرح أو الغضب أو الحزن.

يمكنه المشي بخطوات إيقاعية.

يمكنه أن يشير إلى يديه اليمنى واليسرى.

يستطيع الطفل في هذا العمر أن يضع الإبهام في مواجهة أصابع اليد.

يمكنه أن يرمي كرة كبيرة إلى الجدار ويعيد التقاطها.

يمكنه قص الأشكال.

لدى الطفل يد مسيطرة.

يمسك بالملعقة ويرسم ويكتب كالكبار.

يمكنه تقطيع الطعام بنفسه.

يمكنه أن يأكل بالشوكة والسكين (تعاون اليدين).

يمكنه التقاط كرة صغيرة.

الكتابة:

إن اللحظة الأصعب بالنسبة للطفل هي لحظة تعلم الكتابة، وتحتاج الكتابة إلى تمتع الطفل بالقدرات التالية:

- حركات يد جيدة التطور.
- سيطرة واضحة لإحدى اليدين: اليمنى أو اليسرى.
- قدرة على التمييز بين جهة اليمين وبين جهة اليسار.

- تعاون بين اليد والعين.
- عضلات عين متطورة وبدون حَوَل.
- قدرة على رؤية الرسوم والصور وفهمها.
- قدرة على فهم وتمييز الأصوات والكلمات.
- قدرة على تمييز الأشكال (الأحرف) بمساعدة اللمس.
- قدرة على فهم الكلام العادي وعدد جيد من المفردات.

وعندما يواجه طفل المدرسة صعوبة في الكتابة فإنه لا يحتاج إلى التدرب على الكتابة فقط بل ينبغي التدريب على كل النقاط المذكورة أعلاه.

وقبل الكتابة يكون الطفل قد امتلك القدرة للسيطرة على الورقة عن طريق الرسم، وخصوصاً رسم الخطوط الأفقية والعمودية والدوائر والأشكال المختلفة، كما أنه في المرحلة السابقة يكون قد سيطر على حركة يده، وعندئذٍ يصبح تعلم الكتابة عملاً سهلاً.

سيطرة إحدى اليدين:

يتألف الدماغ من نصفين أيمن وأيسر، وتعبِّر الأعصاب المتجهة من اليد عن الجانب المعاكس؛ أي أن من يكتب باليد اليمنى تكون عنده السيطرة في نصف دماغه الأيسر، ومن يكتب باليد اليسرى يسيطر عنده نصف دماغه الأيمن؟ وهذا يعني أن علينا ألاّ نجبر الطفل على استعمال اليد «الخطأ» ما لم يقرر الطفل بنفسه، وبشكل تلقائي اليد التي سيستعملها، فعلينا أن نساعده ليقرر أي اليدين يستعمل استعمالاً أفضل:

- لاحظ اليد التي يستخدمها الطفل أكثر من استخدام الأخرى.
- بأي يد يستطيع تنفيذ المهمات الصعبة؟
- أي اليدين أسرع؟
- أي يد يستعمل الأهل والأخوة والأقارب والأجداد؟

نجد أن 10 بالمئة من الأطفال يستعملون اليد اليسرى، وهذه النسبة في ازدياد بسبب تفهم الأهل والمدرسين، ويتضح استعمال إحدى اليدين عند حوالى سن 18 شهراً، ويتأكد استعمال تلكَ اليد عند سن 4 سنوات، ويثبت عند دخول المدرسة.

وفي معظم الأحيان فإن الذين يستخدمون اليد اليسرى هم من الصبيان. واستخدام إحدى الجهتين من الجسم توجد في مستويات مختلفة: العين، الأذن، اليد، القدم. ولكن بعض الأطفال يستخدم القدم اليمنى لقذف الكرة ويستخدم اليد اليسرى للكتابة. ولتحديد الجهة المسيطرة ننظر إلى أعمال الطفل اليومية (إمساك الملعقة، فتح الحنفية، فتح الباب، الكتابة، الرسم، التلوين)، وعندما تختلف الجهة فإننا نختار اليد الأكثر كفاءة وقدرة.

أما الطفل الذي يستخدم اليد اليسرى في أعمال الحياة اليومية، ويستخدم اليد اليمنى في الكتابة فإننا نعتبره قد تعرّض لضغوط من الأهل من أجل ذلك. قد يسأل الأهل أمام طفل يستخدم اليد اليمنى أو الذي يستخدم اليد اليسرى في أعمال الحياة اليومية. نقول لا يوجد «يد سيئة» (توماني Tomatis) أو «يد جيدة» (دولتو Dolto). ولكن كيف نعرف إذا كان الطفل يغلب عليه استخدام اليد اليسرى أو اليمنى. وأي يد يستخدم في الكتابة؟ يجب ملاحظة المواقف التي يستخدم فيها الطفل اليد اليمنى والمواقف التي يستخدم فيها اليد اليسرى. ونستطيع أن نقرر سيطرة إحدى الجهتين بواسطة الإختبارات النفسية ـ الحركية. على مستوى اليد نطلب من الطفل أن يزرر قميصه أو أن يضغط على زر الإضاءة، استخدام المشط، إمساك كوب الماء للشرب، دق مسمار باستخدام المطرقة، إشعال عود الثقاب، توزيع الورق على رفاقه، ونطلب كذلك من الطفل أن ينسخ جملة قصيرة مثل «العب في الحديقة» باليد اليمنى وكذلك باليد اليسرى ونقارن الجملتين، واليد المسيطرة يكتب الطفل بها بسرعة أكبر، كما قد نطلب من الطفل أن يرسم أشكالاً هندسية، أو أن يقص أشكالاً أو أن يضع نقاطاً من أجل رسم شكل معين (ستنمباك Stamback)، ونختار دائماً اليد الأسرع والأكثر كفاءة وخصوصاً إذا كانت العين المسيطرة هي في هذه الجهة أيضاً.

أما بالنسبة إلى العين فإننا نعطي الطفل ورقة فيها ثقب ونرى بأي عين ينظر في الثقب.

أما في ما يتعلق بالقدم، فإننا نطلب من الطفل أن يقفز على رجل واحدة، أو أن يركل كرة، ونرى القدم الذي يستخدمها. وفي كلتا الحالتين هناك سيطرة وظيفية لجهةٍ من الدماغ على الأخرى. والأطفال الذين يستخدمون اليد اليسرى يكتبون بسرعة وإتقان كالآخرين تماماً.

وتدل البحوث على أن استعمال اليد اليسرى أو اليد اليمنى يتحدد غالباً بعوامل

وراثية وأحياناً بعوامل بيئية كالتقليد، وخصوصاً تقليد الوالدين، وعلى وجه الخصوص إذا كان الطفل يستطيع استخدام اليدين كلتيهما بالسهولة نفسها.

حاسة البصر:

- تعرض على الطفل ثلاثة أشياء، نخبىء واحداً وعليه أن يتذكره.
- التحدث عن ذاكرة بصرية، برنامج تلفزيوني مثلاً.
- التعرف إلى تدرجات الألوان.
- ينظر إلى صورة ثم يقول ما الذي رآه دون أن تكون الصورة أمامه.
- شرح الفروق بين شيئين.
- رسم شكل كامل.

عندما يكتمل تطور العين يجب أن يكون طفل 6، 7 سنوات قادراً على:

- التنسيق بين الحركات وبين الانطباعات الناتجة عن الرؤية، مثلاً حمل الماء دون سكبه أو الجلوس على مقعد وركل الكرة أو رسم خط بين نقطتين.

إن ظهور صعوبات في مثل هذا التنسيق يعني ظهور مشاكل في القص والكتابة.

إذا أظهرت هذه النشاطات وجود مشكلات فذلك يعني أن الطفل يواجه صعوبات في العثور على الشيء الصحيح وأن ذهنه يشرد بسهولة، ويجد صعوبة في القراءة وفي تركيز عينيه على سطر واحد في كل مرة.

إدراك أن الشيء يبقى هو نفسه حتى عندما يُرى من اتجاهات مختلفة، مثل النظر إلى كرسي سواءٌ من الأمام أو من الخلف أو من فوق، وأن حجم الكرة يبقى هو نفسه سواءٌ كانت بعيدة أو قريبة.

إذا وجد الطفل هذا الأمر صعباً فإنه سيجد صعوبة في رؤية الفارق بين المربع وبين المستطيل؛ ويجد أيضاً صعوبة في التمييز بين الأحرف وبين الأرقام.

إدراك المواقع المختلفة في الحيز المحيط به، مثل معرفة أعضاء جسمه المختلفة وموقع كل منها إزاء العضو الآخر، والقدرة على تقدير المسافات.

إذا ما وجدت صعوبات في هذا المجال فإن الطفل بالحتم يواجه صعوبات في فهم ما هو فوق وما هو تحت أو أمام وخلف... إلخ.

أما إذا كان الطفل في السابعة عن عمره، ويواجه صعوبات فعلية في المدرسة في تعلم رسم أشكال الحروف والأرقام، وعليه أن يجلس فترة كل يوم ويجدُّ في رسم الحروف والأرقام، ولكن من دون أي تحسن ملموس، يكون إدراكه للشكل ضعيفاً.

وبدلاً من كتابة الحروف والأرقام، على الطفل أن يحاول حل الأحاجي (تركيب الصور والقطع) فتتحسن قدرة الطفل على رؤية الأشكال من خلال التدريب، ويصبح قادراً على التمييز بين الأشكال المختلفة كالمربع والمستطيل، والتمييز بين البيضاوي والدائري، وبناء أشكال مختلفة عن طريق صنع المكعبات؛ فتزداد ثقة الطفل في نفسه عبر هذا التدريب وتنضج قدرته على الكتابة بسرعة أكبر، ويبرع في رسم الأشخاص.

حاسة السمع:

إن أحد العوامل الأكثر أهمية في التعلم هو تذكر ما قيل. وهنا يحتاج الطفل إلى التدرب على تكرار ما سمع، كالقصة مثلاً، وإذا بدأ الطفل المدرسة وذاكرته السمعية لم تتطور بما فيه الكفاية فإن هذا يخلق له صعوبات نظراً لأن الطفل لا يستطيع أن يتذكر ما عليه أن يفعل، وهو يجد صعوبة في فهم الغرض من القيام بعملٍ ما يُطلب منه، وهذا ما يؤدي إلى ضعف التركيز عند الطفل.

طفل 6، 7 سنوات يجب أن يتمكن من تكرار قصة قصيرة بعد سماعها مباشرة وإيراد تفاصيلها.

يمكنه تكرار جملة من حوالى 10 ـ 12 كلمة.

يمكنه أن يأخذ رسالة على الهاتف مثلاً، وأن يعيدها على مسمع شخص آخر.

يمكنه تنفيذ 4 تعليمات مختلفة متتابعة.

يعرف تاريخ ميلاده.

يمكنه التفريق بين 3 نبرات صوتية.

أسباب امتناع الأطفال عن الإصغاء:

- سمع ضعيف.
- تخلُّف ذهني فعلي، وفي هذه الحال من المهم تدريب الطفل على المستوى الذي يمكنه فهمه.
- أسباب نفسية: أطفالٌ يعانون مشكلات.

- اهتمام قليل جداً بهم أو قلة الاحتكاك بالناس.
- مشكلات مؤقتة كالتهاب الأذن، أو الزكام، أو انسداد الأذن بالصمغ.
- تكون مفردات الأطفال المتأخرين في التطور اللغوي قليلة فلا يفهمون.
- يكون الأطفال مضطربين عاطفياً، أو أنهم يواجهون مخاطر كبيرة.
- ضعف في التركيز.

لا يكفي تدريب حاسة السمع بين الحين والآخر، بل يحتاج الطفل إلى فرص كثيرة يتدرب فيها على التالي:

- إصدار أصوات.
- التحرك مع الصوت.
- سماع الفوارق.
- تحديد المواقع والبحث عن الأصوات.
- الإصغاء بتركيز.
- تذكر الأصوات.
- متابعة الأصوات.
- ربط الصوت بصور وبأفكار معيَّنة.
- التمييز بين أصوات مختلفة.

إن إحدى مشكلات الأطفال الذين يعانون صعوبات في تذكُّر ما سمعوه هي ضعف الثقة في النفس، لأنهم كثيراً ما يعجزون عن متابعة ما يقال. وعندما يدخل الطفل إلى المدرسة من المهم أن يساعده المعلم من خلال:

- استخدام لغة بسيطة.
- الإكثار من تمارين الإصغاء ما يجعل الطفل يتدرب على الإصغاء.
- توجيه أسئلة بالإمكان أن تكون سهلة الإجابة.
- إعطاء أوامر حاسمة، مثلُ: انتظر، اسمع، ابدأ..

- إعطاء الطفل وقتاً كافياً للإجابة.
- تدريب الطفل على التمييز بين الكلمات التي بالإمكان الخلط بينها بسهولة، مثل: من، ماذا، أين، كيف؟.
- عدم إعطاء وظائف مدرسية كثيرة في الوقت نفسه.

من المعروف أن الطفل عن طريق الحواس يكتسب معلوماته عن العالم الخارجي الذي يحيط به؛ ويعتمد الإدراك الحسي للطفل على مدى قوة حواسه الخمس: السمع، البصر، اللمس، الذوق، الشم، حيث تكمل له الصورة للمدركات والمثيرات التي تقع تحت حواسه، ويعمل جهازه العصبي على ترجمة وتحليل تلك المدركات الحسية، والتغيرات التي تطرأ على جهازه الحسي مثل زيادة قدرته على إدراك الألوان، والأشكال، والزمن، والمسافة، والأعداد، ويكون زيادة الإدراك الحسي مرتبط بالزيادة في عمر الطفل، مثلاً في سن السادسة عند دخوله المدرسة الابتدائية يتعلم العمليات الحسابية، تعلم القراءة، والكتابة والرسم.

يتميز الإبصار في الطفولة الوسطى بطول البصر، فيرى الطفل الكلمات الكبيرة والأشياء البعيدة بوضوح.

تزداد قوة السمع في هذه المرحلة، ويأتي دور المدرسة في الاستعانة بالوسائل السمعية ـ البصرية لتنمية المعلومات الثقافية، فإن زيادة السمع أيضاً تساعد على زيادة النمو اللغوي وزيادة النمو في المستوى الاجتماعي معاً.

النمو الفيزيولوجي:

تزداد الوظائف الفيزيولوجية حيوية في هذه المرحلة مثل ارتفاع ضغط الدم ويتناقص النبض، ويزداد تعقد الجهاز العصبي، ويزداد وزن المخ حتى يصل إلى 95٪ من وزن مخ الراشد في نهاية هذه المرحلة.

تقلّ ساعات النوم بالتدريج حتى تصل إلى 10 ساعات في المتوسط في اليوم.

3 ـ النمو العقلي:

يؤثّر اكتساب الطفل للكثير من الخبرات العقلية المعرفية والمهارات التحصيلية التي تزوده بالكثير من المعلومات وأيضاً عملية التفاعل الاجتماعي في اتساع دائرة العلاقات الاجتماعية في النمو العقلي ونسبة سرعته. وأهم العناصر التي تلاحظ فيها تغيرات هي:

1 ـ عملية الإدراك والملاحظة:

تبيّن عملية التفسير لما يلاحظه الطفل من مواقف ومشكلات، نمو الطفل العقلي؛ ففي سن الحادية عشرة نجد أن إدراكه لعناصر الصورة يقوم على إدراك العلاقات بين أجزائها ومكوناتها، مما يدل على تطور الطفل العقلي، كذلك يلاحظ إدراك الطفل للأشياء المتباينة أكثر من إدراكه للأشياء المتشابهة.

2 ـ الانتباه: من المعروف أن الانتباه هو تركيز الطاقة الذهنية على موضوع معيَّن، ومن المعلوم أن الأطفال قبل سن السابعة ليس لديهم القدرة على تركيز الانتباه لفترة طويلة (15 دقيقة تقريباً) نظراً لتأثير بعض المنبهات الخارجية على انتباههم والتي تشكل عامل تشتيَّت لانتباههم؛ مثلاً طفل سن السادسة أو السابعة لا يستطيع حصر انتباهه لمدة طويلة؛ من هنا، فإن الاتجاهات التربوية الحديثة تقتضي عدم الإكثار من الدروس الشفوية التي تحتاج إلى تركيز الانتباه لفترة طويلة؛ لذا يجب أن تهتم الدراسة بالحاجات النفسية واهتمامات الطفل.

في ما بين سن السابعة والحادية عشرة من العمر نجد أن قدرة الطفل على الانتباه تزداد، ويتضح ذلك من قدرة الطفل على تنظيم نشاطه الذهني وتركيز الانتباه على المواضيع لفترات طويلة، ويصبح قادراً على التغلب على العوامل الخارجية المشتتة للانتباه.

4 ـ التذكر:

التذكر هو القدرة على استرجاع الصور الذهنية والبصرية والسمعية التي مرَّ الفرد من خبرة سابقة.

وتزداد قدرة الفرد على التذكر بازدياد نموه، ونجد الطفل في هذه المرحلة يتذكر المواضيع عن طريق الفهم والإدراك، بينما كان في السابق يتذكر الأشياء التي تم حفظها بطريقة آلية، ويستطيع الطفل تذكر الأشياء البسيطة غير المعقدة والتي تحمل معنىً.

5 ـ التفكير:

يتدرج التفكير خلال هذه المرحلة من التفكير المحسوس إلى التفكير المجرد؛ ففي نهاية هذه المرحلة تبدو بوادر التفكير الفرضي ـ الاستدلالي المنطقي، أي أن التفكير يكون متجهاً نحو غاية وهدف معين يريد الطفل تحقيقها.

6 ـ التخيل:

يصبح خيال الطفل في هذه المرحلة خيالاً واقعياً إبداعياً، أي يرتبط بالأشياء الواقعية وليس بالأشياء الخيالية، ويستطيع الطفل أن يميِّز بين الواقع وبين الخيال، ويصبح قادراً على تركيب صور لا توجد في الواقع، ويكون هذا التخيل متجهاً نحو هدف معين، وبالإمكان توجيه خيال الطفل في هذه المرحلة إلى الرسم، والتشكيل والتمثيل والاستماع للقصص.

الذكاء:

تعدَّدت تعريفات الذكاء وتعدّد تحديد مفهومه ومنها ما يلي:

- الذكاء هو القدرة على إدراك العلاقات بين الأشياء وبين الأفكار.
- الذكاء هو القدرة على التكيف في الظروف الجديدة (شترن).
- الذكاء هو القدرة على التكيف مع البيئة(كلفن).
- الذكاء هو القدرة على التفكير التجريدي (ترمان).
- الذكاء هو القدرة على تجريد العلاقات (سبيرمان).
- الذكاء هو القدرة على الفهم والابتكار والتوجه الهادف للسلوك (بينه) (Binet)
- الذكاء هو نتيجة التفاعل بين الموروث البيولوجي وبين الخبرات الشخصية وبين البيئة الاجتماعية (بياجيه) (Jean piaget)

خلاصة القول إن هذه التعريفات كلها تدور حول توافق الفرد مع بيئته وقدرته على التعلم وقدرته على التفكير المجرد، ولا يوجد تعريف جامع شامل للذكاء، ولكن يوجد هناك تعريف إجرائي للذكاء، وهو أن الذكاء هو قدرة الفرد على أداء اختبارات الذكاء؛ ويُحدَّد ذكاء الفرد عن طريق المعادلة التالية:

$$\text{نسبة الذكاء} = \frac{\text{العمر العقلي}}{\text{العمر الزمني}} \times 100$$

فالعمر العقلي يعني مستوى القدرة العقلية للفرد بالنسبة للأفراد الآخرين في سن معيَّنة بحسب ما تعطيه اختبارات الذكاء.

أما نسبة الذكاء فما هي إلاّ وسيلة تحدِّد مركز ذكاء الفرد بالنسبة للأفراد الآخرين.

نمو الذكاء: تنمو القدرة العقلية للطفل حالها حال القدرات الأخرى مثل القدرة الجسمية والحركية؛ فالطفل خلال الطفولة الوسطى والمتأخرة تزيد سرعة نموه العقلي، ثم يتدرج هذا النمو حتى سن الثانية عشرة وفي مرحلة المراهقة. (الجدير بالذكر أن هذا ليس رأي بياجيه، لأنه أثبت بواسطة أبحاثه الكثيرة بأن لكل مرحلة خصائصها ـ سنتكلم عن ذلك لاحقاً).

في مرحلة المراهقة تصبح القدرات العقلية أكثر تحديداً وأكثر تخصيصاً وأكثر نضجاً؛ لذا نجد صعوبة كبيرة في تحديد الفروق العقلية تحديداً دقيقاً في مرحلة الطفولة نظراً لسرعة النمو العقلي وتغيّره؛ لذا نجد أن اختبارات الذكاء التي تجرى على الأطفال خلال هذه المراحل قليلة القيمة التنبؤية حيال ذكاء الأطفال فيما عدا حالات التخلف العقلي الواضح، وكثير من البحوث تشير إلى أن مرحلة الطفولة لا تصلح للقياس العقلي.

أثر الوراثة والبيئة على الذكاء:

يشير الكثير من الدراسات إلى أن الذكاء يعتبر قدرة موروثة، أي يتأثر بالجانب الجيني بين الآباء وبين الأبناء. ولكن للبيئة دور مهم في التأثير على الذكاء من حيث صقله وظهوره أو عدم ظهوره، ولكن بدرجة محدودة، ومن هذه العوامل:

- الطروف الأسرية: الاجتماعية والثقافية والاقتصادية.
- البيئة المدرسية وطرق التربية والتعليم.
- الظروف الصحية للفرد.

بعض النماذج من اختبارات الذكاء بحسب معيار وكسلر (Wechsler) بين ست سنوات ونصف وبين ست عشرة سنة ونصف (W. I. S. C. R.).

تتوزع هذه الاختبارات بين اختبارات لفظية وبين اختبار الخصائص الذهنية.

في **الاختبارات اللفظية** بالإمكان أن نذكر:

ـ **اختبار المعلومات**: يحاول هذا الاختبار أن يكشف عن المعرفة العامة للطفل. وعدم نجاح الطفل يكون دليلاً على تأخر الطفل العقلي، ولكنه قد يكون مؤشراً على فشل النظام التعليمي: مثلاً: نسأل الطفل: كم يد لديك؟

ـ **اختبارات الفهم:**

يحاول هذا الاختبار أن يكشف الحس السليم: معرفة القدرات الاجتماعية والتفكير العملي: مثلاً: نسأل الطفل: ما هي الأسباب التي تجعلنا في حاجة إلى رجال الشرطة؟

ـ **الاختبارات الحسابية:**

تقيس القدرة على الحساب الذهني بواسطة تمارين متدرجة في الصعوبة: مثلاً: نعرض على الطفل صورة تحوي أشجاراً ونطلب منه عدّ الأشجار مستخدماً أصابعه، أو قد نطرح عليه المسألة التالية: لدى منال أربعة دنانير أضاعت منها ديناراً واحداً. كم بقي معها؟

وتتدرج التمارين في الصعوبة بحيث تتطلب إجراء عدة عمليات متتالية.

ـ **اختبارات التشابه:**

يجب أن يحدد الطفل التشابه بين الكلمات من حيث المفاهيم التي تدل عليها. مثلاً: ما هو وجه الشبه بين الدولاب وبين الكرة؟

ـ **اختبارات الذاكرة المتعلقة بالأرقام:**

نردد أمام الطفل مجموعة من الأرقام تصاعدياً وتنازلياً، تحوي المجموعة تسعة أرقام.

وهناك **اختبارات** تتناول:

ـ **اختبار إكمال الصورة:** يجب تحديد الجزء الناقص من الصورة بالنظر إليها فقط: مثلاً: ينقص قائمة من قوائم الكلب.

ـ **اختبار ترتيب الصور:**

على الطفل ترتيب صور كي تصف عملاً معَيناً: مثلاً: قصة السيدة التي تود أن تزن نفسها على ميزان.

تقترب السيدة من الميزان (الصورة ب)، ثم تصعد إلى الميزان (الصورة جـ)، ثم

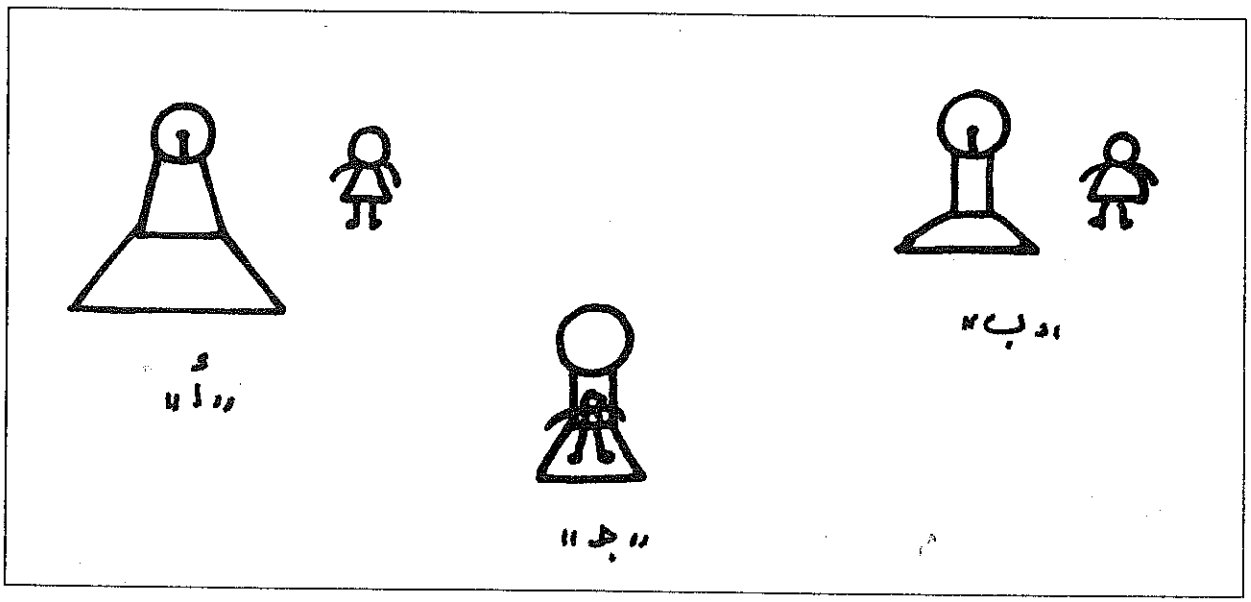

تنصرف (الصورة أ)، يجب أن يرتّب الطفل الصور بحسب الترتيب ب، جـ، أ.

ـ اختبار تجميع الأشياء:

يتعلق هذا الاختبار بتنظيم المكان بواسطة الرؤية وهو كالبازل (Puzzle).

مثلاً: نعرض على الطفل أربعة أجزاء منفصلة، ونقول له: إذا استطاع جمعها بشكل صحيح سيحصل على تفاحة.

ـ اختبار المكعبات:

وهذا الاختبار كالسابق يقيس القدرة على تنظيم المكان بواسطة الرؤية. نضع أمام الطفل تسعة مكعبات، سطحان منها باللون الأحمر، واثنان آخران باللون الأبيض، والاثنان الباقيان باللون الأحمر والأبيض (السطوح)، يجب على الطفل عمل نموذج معيَّن باستخدام السطوح والألوان بالشكل الصحيح.

ـ اختبار المتاهة:

مثلاً: الطفل الذي في الوسط يجب أن يخرج دون المرور بالممرات المقفلة ولا يستطيع القفز فوق الحائط.

يجب على الطفل أن يرسم الطريق دون رفع القلم عن الورقة.

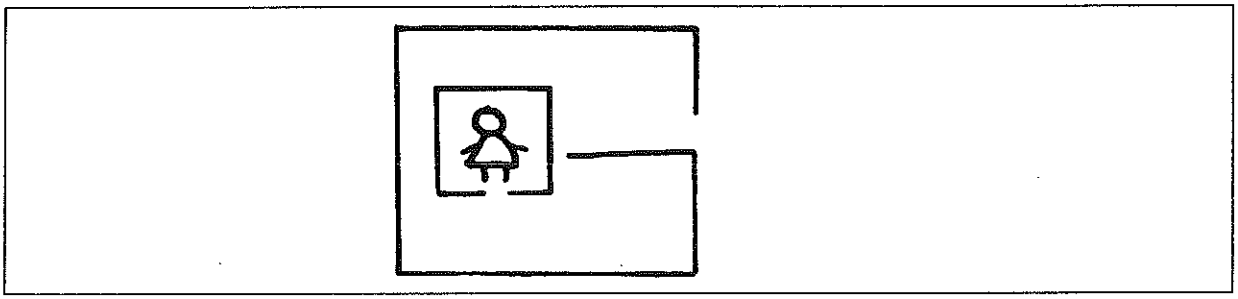

ومن الاختبارات المقترحة من المعيار الجديد لقياس الذكاء نذكر:

- تحديد: الصباح، الظهر، المساء (5 سنوات).
- تحديد أشهر السنة (8 سنوات).
- معرفة تاريخ اليوم (7 سنوات).

الذكاء بحسب نظرية جان بياجيه (1896 ـ 1980)

لعلنا لا نبالغ إذا قلنا أن بياجيه هو أشهر عالم نفس في المئة سنة الأخيرة، استطاع أن يصوغ قوانين نمو اللغة والتفكير عبر مراحل الأرتقاء المختلفة.

من أجل التكيُّف مع المحيط يستخدم الطفل أنواع السلوك التي برهنت عن فعاليتها، وأنواع السلوك هذه تتأكد وتتفرع بواسطة التكرار، ثم إنها تعمم وتحلل إلى عناصر بسيطة من أجل تكيُّف أفضل مع كل واحدة من الحالات الخاصة.

ومن أجل جعل نمو الطفل مفهوماً فقد استخدم بياجيه مفهوم المرحلة؛ ذلك أن مرحلة النمو تعني هذه الفترة المؤقتة من النمو التي تتصف بمجموعة من أنواع السلوك التي تسمح للطفل باتخاذ شكلٍ من أشكال التكيف مع البيئة، وأول ما يتعلمه الطفل يسمى «الانعكاس الدائري»؛ فالطفل الذي استطاع في لحظةٍ ما أن يسبب أي حركة، فإنه سيعيد هذه الحركة من أجل إيجاد التأثير الذي ينتظره.

وترتكز فلسفة بياجيه إلى تأثير التركيب البيولوجي للإنسان على قدراته العقلية وتأثير البيئة على تركيب الفرد؛ فالفرد يسعى إلى أن يستوعب البيئة التي يعيش فيها ويتكيف معها، والذكاء بالنسبة لِبياجيه هو شكل من أشكال التكيف المتقدم، وهو يتطور بواسطة عمليتي الاستيعاب والتلاؤم، والذكاء لا يظهر فجأة ولكنه توازن وجهد مستمرَيْن لإدخال الجديد في إطار البنيات العقلية الموجودة سابقاً وإيجاد بنيات جديدة أكثر تكاملاً.

وتكوين الذكاء عملية مستمرة من حيث إن كل فترة يمر بها الفرد تساهم في نمو ذكائه.

وقد قسَّم بياجيه نمو الذكاء إلى مراحل، سنتكلم هنا عن المرحلة التي تقع في المرحلة العمرية من 6، 7 سنوات إلى 11، 12 سنة. وهي:

مرحلة العمليات الحسية (العيانية) أو الذكاء المحسوس:

تبدأ في هذه المرحلة العمليات المنطقية ـ الرياضية، ولكن هذه العمليات تبقى محصورة في نشاطات الطفل على الأشياء الحسية، ويكتشف الطفل خصائص الأشياء معتمداً على الحواس.

وتتكوّن عند الطفل مفاهيم الاحتفاظ بالكمية والوزن؛ وفي نهاية المرحلة أي في حوالى 11، 12 سنة يتكوّن مفهوم الاحتفاظ بالحجم. ويفهم الطفل بعض خصائص العمليات كخاصية التعدي والتجميع على أن تتم على وسائل محسوسة. وهذا التطور يبدأ في السنة السابعة ويستمر حتى سن الثانية عشرة، لينتقل الطفل بعدها إلى مرحلة الذكاء المجرد أو الذكاء الفرضي ـ الاستدلالي؛ وتجدر الإشارة إلى أن دخول الطفل المدرسة الابتدائية يعتبر نقطة تحول في حياته الذهنية والاجتماعية، وهذا التحول يتلخص في التقدم الحاصل في التدامج الاجتماعي للسلوك والتفكير بالإضافة إلى بروز العمليات الذهنية العكسية؛ فمن ناحية السلوك، كنا قد لاحظنا انعدام الحوار بين الأطفال، أما بعد سن السابعة فإن الطفل يتوصل إلى إدراك عمله ومدى ارتباطه بأعمال الآخرين، ويصبح قادراً على الفهم والمناقشة والحوار، وقد يعمل على إعطاء الأدلة والبراهين ليؤكد وجهة نظره؛ إذ يبدأ الطفل من الخروج من الأنوية أو المركزية الذاتية التي كانت مسيطرة على تفكيره تدريجاً، وهذا التقدم لا يظهر فقط في فعاليات الطفل وتفاعله والآخرين بل يظهر أيضاً في لغته؛ إذ يعمد الطفل إلى استخدام حروف الوصل، ويبدأ بممارسة اللعب المنظم القائم على القواعد والقوانين التي يخضع لها جميع الأطفال، وكثيراً ما نسمع أثناء اللعب مناقشات وجدل بين الأطفال وخصوصاً عندما يخطىء أحدهم وكيف أن رفاقه يحاسبونه بحسب أصول اللعب المتبع.

ويبرز في هذه المرحلة أيضاً الحكم الأخلاقي عند الطفل وهو القائم على تقييم الأشياء والأفعال والأشخاص، بالإضافة إلى مفاهيم الطاعة والاحترام والسرقة والشعور بالخطأ والذنب والشر والخير؛ إلى جانب هذا التطور الحاصل في السلوك، هناك تطور في التفكير؛ فالطفل لا يلجأ إلى التفسيرات القائمة على الإحيائية والاصطناعية كما كان يفعل في السابق، فهو في نهاية هذه المرحلة يصبح قادراً على ربط الظواهر بأسباب واقعية علمية؛ ثم إن الطفل يصبح قادراً على القيام بعمليات ذهنية متبادلة تستدعي القدرة على إدراك العلاقة القائمة بين شيئين أو أكثر، بالإضافة إلى التحليل المنطقي وإدراك العلاقات المتبادلة مثل أ > ب وب > ج. إن حل هذه المسألة يستدعي التعدي فتكون النتجية أن أ > ج.

وسنستعرض في ما يلي بعض الاختبارات التي استخدمها بياجيه لنرى كيف يتطور ذكاء الطفل في مراحل النمو المتعددة.

أولاً ـ مفاهيم الاحتفاظ:

تتهيَّأ عدة أنواع من مفاهيم الاحتفاظ خلال مرحلة العمليات الحسية؛ إذ إن نموذجها ديمومة الشيء في المستوى الحسي ـ الحركي. ونميِّز هنا ثلاثة أنواع من مفاهيم الاحتفاظ:

1 ـ الاحتفاظ الفيزيائي Physical conservation.

2 ـ الاحتفاظ المكاني Conservation of space.

3 ـ الاحتفاظ بالعدد Conservation of number.

1 ـ الاحتفاظ الفيزيائي:

أ ـ الاحتفاظ بالكمية: Conservation of quantity:

نقدم للطفل كمية من الطين (المعجون) ونطلب من الطفل أن يصنع كرتين تحويان الكمية نفسها من الطين (أو الشيء نفسه من المعجون) ونتأكد من ذلك بوضعها على كفتي ميزان، ونسمي إحداهما أ والثانية ب، ثم نضع أ جانباً كإطار مرجعي نعود إليه.

بعد أن يكون الطفل قد تأكد أن في الكرتين الشيء نفسه من الطين، نطلب منه أن يحوِّل الكرة «ب» إلى قرص، ونسأله إذا كان الكرة «أ» والقرص يحويان الشيء نفسه من الطين أو من الكمية نفسها، ثم نحوِّل القرص إلى شكل أسطواني (حبل) ونعيد السؤال نفسه الذي طرحناه بالنسبة للقرص، وأخيراً نقطع الحبل إلى قطع صغيرة ونعيد الأسئلة نفسها.

ويكون الحوار في أن نتتبع الطفل في إجاباته، سواءٌ أكد أو نفى احتواء الشكلين على الكمية نفسها، وعادة ما ننطلق معه من الأسباب التي يعطيها، مثلاً في الحبل يوجد أكثر من الطين لأنه طويل، ونرى ما إذا كان يتمسك بطريقة التفكير ذاتها أو أنه يغير رأيه، وقد نقول له: إن فتاة أو فتى قد قال أو قالت بأن في الشكلين الشيء نفسه من الطين (أو العكس) ونسأل من كان على حق، ولكن الإيحاء للطفل لا يتم بطريقة منتظمة بل يتم بحسب إجاباته وطريقته في التفكير.

إن تجربة الطين التي ذكرنا تريد أن تؤكد الاحتفاظ بالكمية مهما كانت التغيرات أو التحولات التي تطرأ على الشكل. بقولٍ آخر، فإن كل تغيُّر يطرأ على الشكل لا يغيِّر من

كمية المادة شيئاً، وهنا تظهر أهمية العملية العكسية، ونحاول أن نفهم الحجج والبراهين التي يقدمها الطفل أو يعطيها وتماسك هذه البراهين؛ ذلك أن التحولات التي تصيب الكرة ستذهب بعيداً وكأننا نريد أن نخدع الطفل بواسطة تغيير الشكل الذي سيصيب إحدى الكرتين وستلعب هنا الرؤية دوراً مهماً.

وبعد أن يؤكد الطفل أن كمية الطين هي نفسها في الكرة «أ» المرجع وفي الأشكال الأخرى بالرغم من التغيرات التي طرأت على الشكل، فإننا نجد ثلاث أنواع من العمليات:

1 ـ البقاء: هي الشيء نفسه من الطين، لم نضف إليها ولم نأخذ منها.

2 ـ المقارنة: هي أطول ولكنها أكثر نحافة.

3 ـ القلب: إذا أعدنا عمل الكرة، فإننا نحصل عندئذٍ على الكرتين نفسيهما. إذاً هنا كمية الطين نفسها في الكرتين.

هذه الأنواع الثلاث من تبرير مساواة الكميتين، يمكن أن نجدها عند أحد الأطفال أو نجد واحداً منها. مهما يكن من أمر، فإن الحجج التي يقدمها الطفل والتي تقاوم إيحاءات البالغ تعني أن مفهوم الاحتفاظ بالكمية قد تكوّن وتأكّد بالفعل عند الطفل.

ونلاحظ عدة مواقف تواكب ثلاث مراحل في بناء مفهوم الاحتفاظ بالكمية:

ـ عند أطفال سن الخمس سنوات: إنهم يؤكدون أن كمية الطين تتغيَّر كلما تغيَّر الشكل الذي تأخذه، ففي القرص كمية من الطين أقل لأنه رقيق، أو في القرص أكثر لأنه كبير أو (مفلطح) كما قالت طفلة في الكويت، ثم عند الأطفال الأكبر سناً، فإن الاحتفاظ بالكمية يؤكد بالنسبة للقرص، وليس بالنسبة للحبل، لأن الحبل طويل وهذه هي المرحلة التي تتوسط بين الاحتفاظ وبين عدمه، أو في الحالتين السابقتين يرتكز الأطفال على الرؤية والنظر ليفهموا وجود الاحتفاظ بالكمية.

ـ وفي سن 7 ـ 8 سنوات: يؤكد الأطفال الاحتفاظ بالكمية مستندين في ذلك على التغيرات التي تطرأ على الكرة وليس على الشكل الذي تأخذه، وما يثير في هذه التجربة وفي التجربة التي تليها أيضاً هو كون الأطفال لا يلاحظون أننا لم نأخذ شيئاً ولم نضف شيئاً إلى الكرة وبالرغم من ذلك فهم لا يستنتجون شيئاً.

ـ تمثِّل الرسوم جانباً مبدأ الاحتفاظ بالكمية الذي تكلم عنه «جان بياجيه». فقبل سن السابعة لا يكون الطفل قادراً على معرفة مبدأ عدم تغيُّر الكميات.

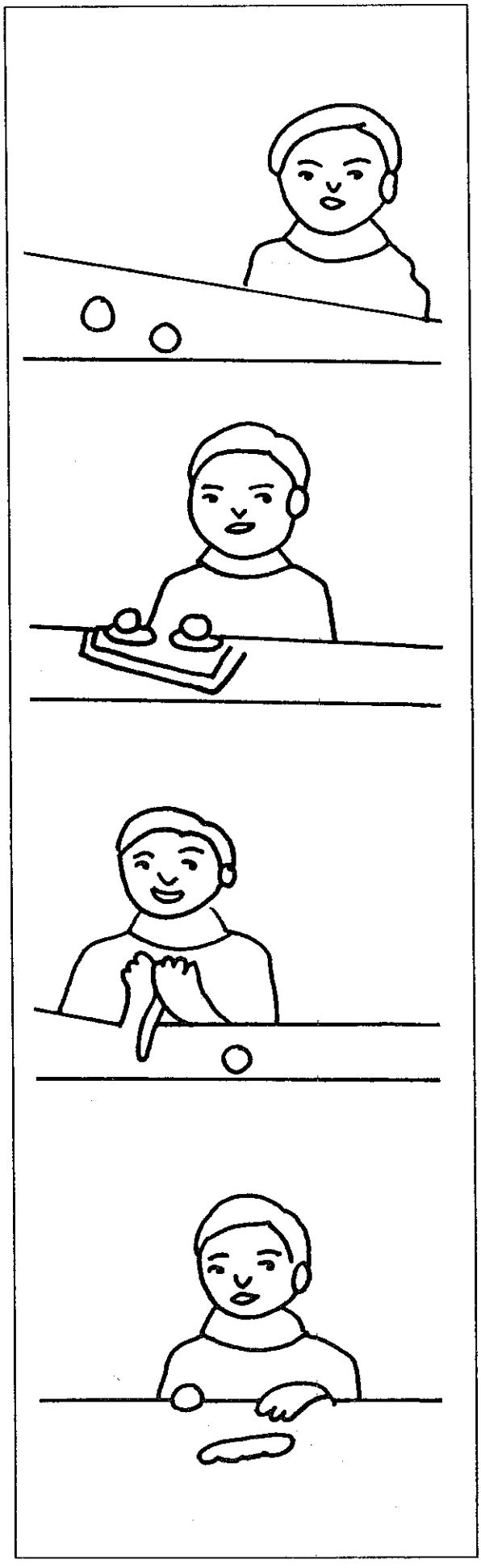

ـ ففي الرسم (1) نعطي الطفل كرتين من الطين، يتأكّد الطفل من احتوائهما على كمية الطين نفسها الرسم (2) بواسطة الميزان.

ـ ثم نطلب من الطفل أن يحوّل إحدى الكرتين إلى شكل أسطواني (3) وفي إجابته عن السؤال: هل في الشكلين الكمية نفسها من الطين؟

يجيب الطفل قبل سن السابعة:

بأن العصا فيها طين أكثر لأنها أطول وأثقل.

ب ـ الاحتفاظ بالوزن:

نعطي الطفل الكرتين من الطين ونطلب منه أن يتأكّد من أن وزنهما واحد بواسطة الميزان، كما فعلنا في السابق، ثم نسأل الطفل: بأننا إذا حوّلنا الكرة «ب» إلى قرص، ووضعناها في كفة الميزان، فماذا يحدث؟ وإذا كان القرص «ب» يزن الشيء نفسه كالكرة «أ» أو أنه أخف أو أثقل وزناً؟.

ونلاحظ هنا المراحل نفسها التي رأيناها في السابق:

ـ انعدام الاحتفاظ.

ـ الاحتفاظ غير المؤكّد.

ـ الاحتفاظ المؤكّد.

ويحدث أن يكون الاحتفاظ بالوزن مؤكّداً في عمر 8، 9 سنوات.

جـ ـ الاحتفاظ بالحجم:

نأخذ وعاءين لهما الحجم نفسه، والارتفاع نفسه والقاعدة نفسها، ويحتويان كمية الماء نفسها بحيث تصل إلى المستوى نفسه في الوعاءين، ونضعهما بجانب بعضهما البعض، نضع في أحد الوعاءين الكرة «أ»، ونسأل الطفل: ماذا يحدث إذا أغرقنا في الوعاء الثاني كرة لها الكبر نفسه ولكنها أكثر وزناً، فهل تحرك كمية الماء نفسها (الكرة الأخرى من الطين نفسه)؟.

وقد نأخذ الكرتين اللتين تكلمنا عنهما سابقاً، ونغرقهما في الماء، ونحول إحدى الكرتين إلى قرص، ونسأل الطفل: ماذا يحدث إذا وضعناه (القرص) في الماء؟

ولكن من الملاحظ أن الاحتفاظ بالحجم يتأخر في التكوين بعض الشيء وهو لا يُكتسب قبل عمر 10، 12 سنة، وهنا نطرح سؤالاً مهماً، فنقول: هل الاحتفاظ بالحجم هو آخر مفاهيم الاحتفاظ في المرحلة الحسية، أو أنه أول مفاهيم المرحلة المجردة؛ يؤكد بياجيه أن الاحتفاظ بالحجم يتناول مفهوم النسبة التي يتم اكتسابها في مرحلة الذكاء المجرد.

مفاهيم الاحتفاظ بالكمية والوزن والحجم تظهر بالترتيب الذي ذكرنا والفروق تخضع لقانون البناء التكويني الذي يمرّ من الاحتفاظ بالكمية إلى الاحتفاظ بالوزن ثم إلى الاحتفاظ بالحجم.

وقد أجريت تجارب أخرى تتناول الاحتفاظ بالكمية، منها ما يتعلق بالكميات المنفصلة مثل الخرز، ومنها ما يتعلق بالكميات المتصلة مثل الماء أو أية سوائل أخرى، مثل موضوع انتقال السوائل.

نعرض على الطفل وعاءين «أ» و«ب» لهما شكل أسطواني، ونطلب منه أن يضع بنفسه كمية سائل متساوية في الوعاءين، أو كمية الخزز نفسها (فيضع الطفل خرزة زرقاء في الوعاء «أ» وخرزة حمراء في الوعاء «ب»، في تقابل واحد لواحد دون حاجة للعد...).

وبعد ذلك نعطي الطفل وعاءً أنحف وأطول، أو وعاءً أقصر وأعرض، ونُفرغ محتوى «أ» في واحد من الوعاءين، ثم نسأل: ما إذا كان الوعاء الجديد يحوي كمية الخرز نفسها التي كانت في الوعاء «أ»؟؛ وقد نعمد أيضاً إلى وضع محتوى الوعاء «أ» في أربعة أوعية صغيرة، ثم نسأل الطفل: إذا كان مجموع ما تحويه الأوعية الأربع يساوي ما كان يحويه الوعاء «أ»؟

يلاحظ تقدم الاحتفاظ بالخرز على الاحتفاظ بالماء، وقد يكون سبب ذلك أن

الأمر يتعلق بأجسام صلبة لا يتغير شكلها، وأن تكافؤها بالإمكان التأكد منه عن طريق مقابلة عنصر لعنصر.

2 ـ مفاهيم الاحتفاظ المتعلقة بالمكان:

مفاهيم الاحتفاظ المتعلقة بالكميات الفيزيائية ليست الوحيدة في مرحلة الذكاء المحسوس؛ وفي ما يتعلق بالمكان هناك عدد من اللامتغيرات المرتبطة بعمليات منطقية تخرج إلى الوجود، وسنتكلم عن الاحتفاظ بالطول، وعن الاحتفاظ بالمساحة.

1 ـ الاحتفاظ بالطول:

يوجد نوعان من التجارب تؤكد انبناء مفهوم الاحتفاظ بالطول:

أ ـ القضبان المتحركة:

نطلب من الطفل أن يختار مسطرتين لهما الطول نفسه، ونضعهما بشكل أفقي ومتوازٍ، بحيث تبعد إحداهما عن الأخرى مسافة 5 سم تقريباً، ونضع على طرف كل مسطرة لعبة، ونسأل: ما إذا كان على اللعبتين قطع المسافة نفسها؟

يشمل الاختبار ثلاثة أقسام:

1 ـ نبعد المسطرة «أ» 5 سم ونسأل: هل إحداهما أطول من الأخرى، وكيف نعرف ذلك؟

2 ـ نبعد «ب» إلى اليسار المسافة نفسها، ونطرح السؤال نفسه. (القسم الثاني).

3 ـ نبعد «أ» إلى اليمين و«ب»
إلى اليسار (القسم الثالث) ونطرح السؤال نفسه.

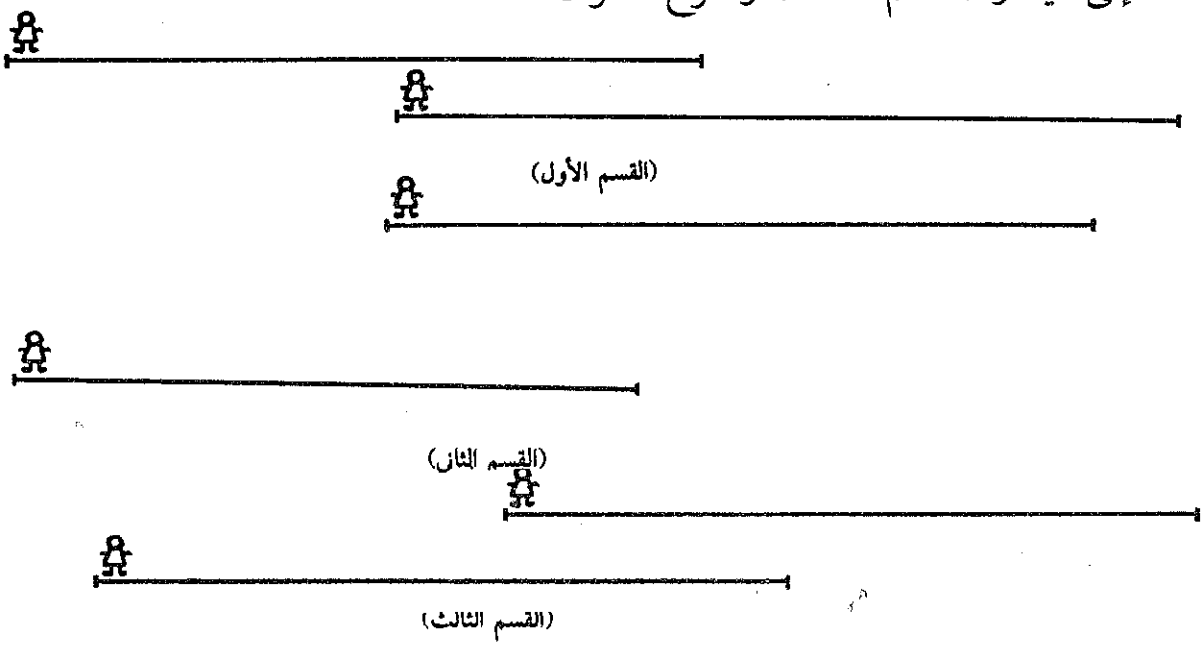

ب ـ القضبان المختلفة الأطوال:

نأخذ عصاً طولها 16 سم و4 عُصَيَّات طول الواحدة منها 4 سم، نضع أمام الطفل العصا الطويلة ونضع بشكل موازٍ العُصَيَّات الصغيرة بجانب بعضها البعض، بحيث يلاحظ الطفل تساويها من حيث الطول، ونستخدم لعبتين كما في السابق.

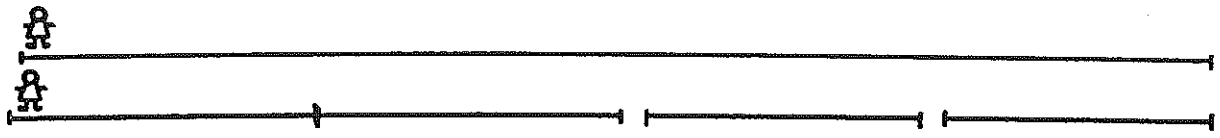

(القسم الأول)

ونسأل الطفل: ما إذا كان على اللعبتين قطع المسافة نفسها، ونطلب منه أن يبرر إجاباته.

ـ ثم نضع العُصَيَّات بشكل خط منكسر. ونسأل السؤال نفسه.

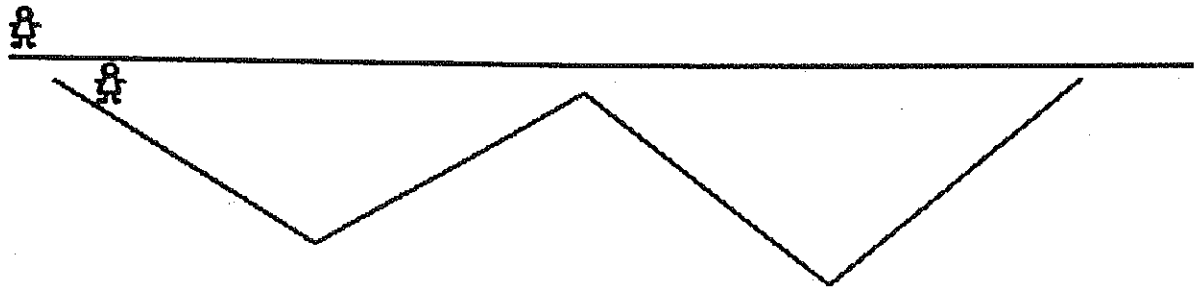

(القسم الثاني)

ـ ثم نضع العُصَيات كالتالي. ونسأل السؤال نفسه:

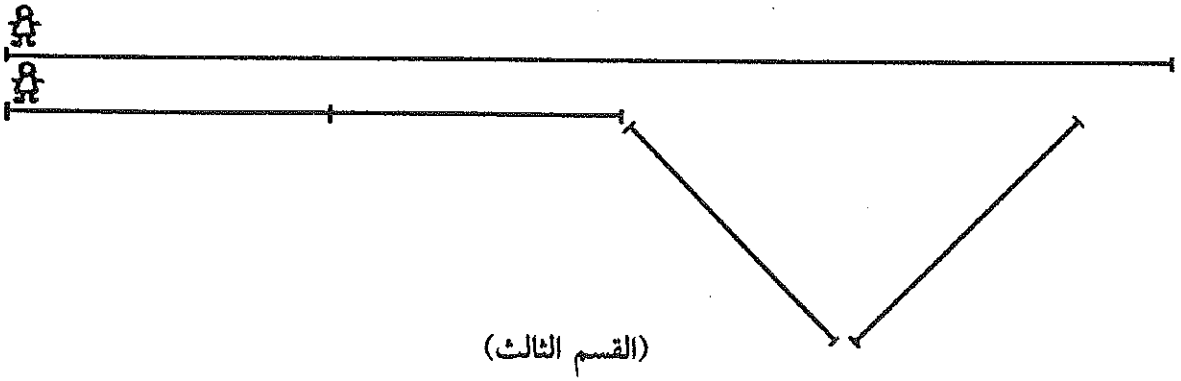

(القسم الثالث)

يتم تكوين مفهوم الاحتفاظ بالطول في سن السابعة، وهو يفترض تكوّن مفهوم المسافة، وكذلك الرجوع إلى نظام مرجعي الذي يتألف من مكان مشترك بالنسبة لكل الأشياء، سواءٌ كانت ثابتة أو متحركة؛ بحيث أن الاحتفاظ بالطول يفترض أن يكون

المكان كإطار مرجعي يحوي الأشياء كي تحتفظ فيه المسافات بنفسها وتبقى ثابتة الطول.

3 ـ الاحتفاظ بالمساحة:

من أجل دراسة الاحتفاظ بالمساحة، نعطي الأطفال رسماً لحقلين ترعى في كل واحد منهما بقرة، نضع على كل حقل بيتاً ثم بيتاً آخر حتى الرقم 14، ونفعل الشيء نفسه بالنسبة للحقلين. ونسأل في كل مرة: ما إذا كان بقي للبقرة أن تأكل الشيء نفسه: في الحقل الأول نقرب البيوت من بعضها، وفي الحقل الثاني نبعدها عن بعضها، ونسأل: ما إذا كانت حصة البقرتين من العشب تبقى هي نفسها.

وقد ظهر مفهوم الاحتفاظ بالمساحة حوالى السنة السابعة من العمر، وأجريت تجارب أخرى على الاحتفاظ بالمساحة مع تغيير المحيط أو الاحتفاظ بالمحيط مع تغيير المساحة.

الاحتفاظ بالعدد:

يخبرنا بياجيه في أحد كتبه عن كيفية ولادة فكرة هذا الاختبار، والخبر ينقله بياجيه عن أحد أصدقائه الاختصاصي بمادة الرياضيات إذ قال هذا الصديق: إن جذور اهتمامي بمادة الرياضيات تعود إلى يوم كنت طفلاً صغيراً ألهو بالحصى في فسحة الدار، فجعلت ما معي من الحصى على استقامة واحدة وجعلتُ أَعدُّها من اليمين إلى اليسار فبلغت «عشراً»، ثم من دون قصد، أحصيتها من اليسار إلى اليمين، لشد ما كانت دهشتي إذ وجدتها أيضاً «عشراً» ثم ما زلت أغيِّر شكلها وأبدله وأعدها مندهشاً من أنها عشراً كيفما رتبت.

وقد افترض بياجيه أن الكمية (العددية) غير معروفة عند الأولاد كما هي عند الراشدين، بل إنها تتطور إذ تبدو مرتبطة بالشكل الذي تأخذه في الحيِّز المكاني، ثم رويداً رويداً تستقل عنه لتصبح مفهوماً مجرداً.

وينفي بياجيه وجود مفهوم الاحتفاظ بالعدد عند أطفال (3، 4 سنوات).

ويصف التجربة التالية:

نعرض أمام الطفل صفاً من الأقراص الزرقاء (7، 8 أقراص)، ونطلب منه أن يجعل مثلها بواسطة أقراص حمراء، بحيث يكون في الصفين العدد نفسه من الأقراص،

فنلاحظ أن الطفل لا يهتم إلاّ بطول الصف الذي أمامه:

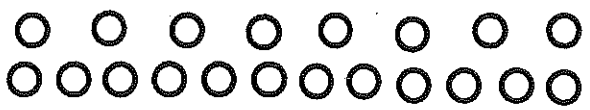

(الشكل «أ»)

وإذا أعدنا تجربة الأقراص على الأطفال (5، 6 سنوات) نجد أن الطفل هنا ينشىء تقابلاً واحداً لواحد، ولكن إذا قرَّبنا أقراص أحد الصفين إلى بعضها، ينتفي وجود التكافؤ بالنسبة للطفل (كما في الشكل ب).

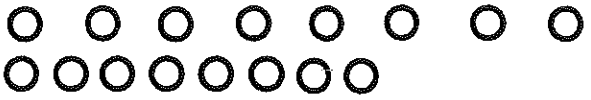

(الشكل «ب»)

أما بعد الست سنوات، فإننا إذا أعدنا تجربة الأقراص، وقرَّبنا أقراص أحد الصفين من بعضها، فإن الطفل يقر بتكافؤهما، بصرف النظر عن الحيِّز الذي يحتلاّنه.

تؤكّد الأبحاث أن الطفل لا يتوصل إلى فكرة العدد الإجرائي العقلي إلاّ بعد السبع سنوات مرتكزاً في ذلك إلى بنيتين تتكونان في الوقت نفسه: البنيات المنطقية للتصنيف والترتيب التي تقود إلى تكوّن سلسلة الأعداد الطبيعية، فيعتبر العدد هنا إدماج بنيتي التصنيف والترتيب في نظام موحد.

في سن العشر سنوات يكون الطفل قد درس القاعدة الثلاثية والكسور، ويستطيع أن يحل مسائل تتعلق بالنسبة والتناسب. في سن الثانية عشرة من العمر يستخدم الطفل التفكير الفرضي ـ الاستدلالي، دون أن يستند في ذلك على الأشياء المحسوسة؛ ثم نلاحظ ميل الطفل إلى التجريد والتفكير العقلاني مما يسمح له في بداية المراهقة «بأن يعيد تشكيل العالم كما يريد»، وبأن ينخرط في مناقشات وفرضيات بعيداً عن المعطيات الحسية.

تطبيقات تربوية:

إذا كانت هذه المفاهيم تتكوّن، فما هو إذاً دورنا كمربين وأهل؟.

نحن نعلم أن النمو المعرفي أو الذكاء الذي تدل عليه هذه الاختبارات هو نتيجة التفاعل بين ثلاثة عناصر: الموروث البيولوجي، والخبرات الشخصية، والبيئة الاجتماعية.

من هنا علينا أن نزيد الخبرات التي يمرُّ بها الطفل؛ فاللعب وخصوصاً بالأشياء المختلفة، والتعرف على خصائصها ومناقشة الكبار في وظائفها وصفاتها، وكذلك اللعب الجماعي جميعها يهيِّىء الأرضية لتكوين هذه المفاهيم.

ثم إن الطفل الذي لم يلعب بالرمل والماء والطين، ولم يفرغ الأوعية ويملأها، ولم نترك له فرصة ليلعب بالطين ويصنع منه أشكالاً مختلفة نجده يفتقر إلى الخبرات الكثيرة الضرورية لنمو ذكائه.

4 ـ النمو الانفعالي ـ الاجتماعي:

تتصف هذه المرحلة بالاستقرار الانفعالي مقارنة بالمراحل السابقة، وتتوزع علاقات الطفل نحو أهداف متعددة تشمل أقرانه في الصف وفي أثناء اللعب، ومعلميه الذين يتعامل معهم بعد أن كانت علاقاته محصورة بالأسرة والأخوة فقط.

ويكوّن الطفل اتجاهات انفعالية جديدة نتيجة العلاقات الاجتماعية الجديدة التي تكسب الطفل اتزاناً انفعالياً، وتخفف من انفعالاته العنيفة تجاه والديه، مما يعطيه نضجاً انفعالياً اجتماعياً.

ويؤثر النمو العقلي على النضج الانفعالي؛ فالطفل يتنازل عن رغباته الكثيرة الملحة وخصوصاً التي يشعر بأنها تضايق الوالدين، ويستطيع إرجاء حاجاته العاجلة إلى وقتٍ آخر، فيكسبه ذلك السيطرة على نوازعه ورغباته.

وتزداد خلال هذه المرحلة جرأة الطفل بسبب تنوع علاقاته الاجتماعية التي تتسم بالتفاعل والديناميكية، والتي تنمي شعوره بالأمن والثقة فيكسب الطفل اتزاناً انفعالياً في سلوكه ويميل إلى المرح.

وتختلف استجابات الطفل الانفعالية في هذه المرحلة عن المراحل السابقة، فيعبِّر عن انفعال الغضب بالألفاظ، وتبدو هذه الانفعالات ظاهرة على وجه الطفل، دون عنف أو ثورة وقد تأخذ استجاباته شكل المقاطعة.

ولكن طفل هذه المرحلة يعاني من الخوف، وتتصف هذه المخاوف بالواقعية: في المستويين الدراسي والاجتماعي، مثل الخوف من الفشل، والإحباط الدراسي،

والتقبل، والمكانة الاجتماعية بالنسبة للأقران.

كذلك فإن الطفل يخاف من الأشياء التي تشكِّل خطراً على حياته، مثل وجود السيارات أو السقوط من الأماكن العالية.

ومن مظاهر النمو الاجتماعي أن الطفل يقضي أوقاتاً طويلة مع رفاق الصف، بنسبةٍ أكبر من الوقت الذي يقضيه مع أهله، ولم يعد الوالدان يشبعان الميل إلى التماهي، فيلجأ الطفل في بعض الأحيان إلى اختراع نماذج يقتضي بها، وقد يكون أحد هذه النماذج الرفاق أو المعلمين، ويحاول الطفل التخلص من أو تقليص السلطة الوالدية، ويشكِّل الأطفال في نهاية هذه المرحلة «زمراً».

التمدرس، (الدخول إلى المدرسة):

تؤثر المدرسة تأثيراً كبيراً على نمو الطفل الاجتماعي وأنماط سلوكه وشخصيته؛ فعن طريق المدرسة، يتدرب الطفل على أنماط من التفاعل الاجتماعي وأفراد آخرين بطريقة تختلف عن مستوى التعامل مع الأسرة؛ فيتدرب الطفل على الأخذ والعطاء والتنافس والتعاون والكفاح والمثابرة؛ إذ إن المدرسة بيئة حافلة بأنواع المنافسات والخبرات، وفيها يمارس الطفل الميول والهوايات ويتدرب على مبدأ الحقوق والواجبات؛ فدور المدرسة مهم في تزويد الأطفال بالخبرات الاجتماعية وصقل وتنمية الميول والمهارات والقدرات، وفي تطبيع الطفل على الكثير من قواعد السلوك الاجتماعي والأخلاقي.

وبالنسبة إلى بعض الباحثين يعتبر الدخول إلى المدرسة الابتدائية «الفطام العاطفي الثاني» «اوستريت» (Osterrieth ،1978)؛ فالطفل في المدرسة الابتدائية يجب أن يصبح قادراً على تركيز انتباهه نصف ساعة على الأقل حول موضوع معيَّن؛ ثم إن توزيع الوقت دقيق جداً؛ وهناك الخضوع للقوانين المدرسية: لم يعد الطفل يلعب في الصف؛ فالمدرسة هي معاً المكان والوسيلة التي فيها يتم تقييم مستوى الطفل العقلي؛ ولكن يلاحظ رسوب بعض التلاميذ بالرغم من تمتعهم بمستوى طبيعي من الذكاء؛ والدخول إلى المدرسة الابتدائية الذي يكون في سن السادسة من العمر، ورياض الأطفال في سن الثالثة أو الرابعة من العمر، ثم الدخول إلى التعليم المتوسط والثانوي في سن الحادية عشرة، هذه السن لم تحدد عشوائياً، بل إنها حددت بناءً على النضج العقلي الذي يرافق كل سن من عمر الطفل. ولكن ظهور اضطرابات التعلم سوف تكشف عن مشكلات نفسية لم تكن ظاهرة حتى الآن بالرغم من الذكاء الطبيعي الذي يتمتع به التلميذ. وفي مثل هذه الحالات يجب دراسة شخصية الطفل مثل الاضطرابات النفس ـ جسدية (اللزمات، التبول

اللاإرادي، التأتأة، أكل الأظافر، . . .) والاضطرابات السلوكية (الغضب، الميول غير الاجتماعية، البلادة، . . .) وكذلك يجب دراسة الحالة الأسرية، ترتيب (موقع) الطفل في الأسرة، العلاقات بين الأخوة، والخلافات مع أفراد الأسرة، والطريقة التي يحاول الطفل بها حل هذه المشكلات، أو عدم مواجهتها، والفطام العاطفي غير السليم.

ولكن يجب ألاّ ننسى بعض جذور بعض الاضطرابات أنها تعود إلى المدرسة نفسها، قد يكون مثلاً مستوى الصف العلمي أعلى من مستوى التلميذ، أو أنه صف يحوي أعداداً كبيرة من الطلاب، أو بعض الاضطرابات الأسرية الخطيرة.

وقد يكون الطفل قلقاً بسبب الوضع الصحي الذي يتعرض له أحد أفراد الأسرة، أو عدم إيجاد الأمان في الأسرة، أو أي موقف يمكن أن يهدد تماسك الأسرة، ويؤدّي إلى تفككها، مثل انفصال الوالدين، والطلاق، والبطالة، كلها قضايا كبرى يشعر بها الطفل بعمق، وتؤثّر بالحتم على عمله الدراسي[1].

وتنتشر ظاهرة الأطفال المضطربين، الطفل المضطرب هو الطفل الذي يلمس كل شيء، لا يستطيع المكوث في مكان معيَّن، يحرّك يديه ورجليه دائماً، ولا يستطيع أن يركز انتباهه، أو يستمع إلى شرح المعلم، كما انه لا يستطيع إنجاز الفروض المدرسية. ويتميَّز هذا الطفل باختلاجات عصبية أثناء اللعب أو القراءة ويظهر هذا في اضطراب مزاجه[2].

وعادةً ما يخبىء هذا الاضطراب قلقاً عميقاً فيحاول الطفل أن يهرب من هذا القلق إلى النشاط الزائد. وقد نجد عند هذا الطفل اضطرابات النوم (عدم استقرار النوم، الكوابيس، السرنمة (السير والكلام أثناء النوم) الوراثة (وخصوصاً الأم القلقة والمضطربة) وانفصام عرى الأسرة، دوراً في هذه الإضطرابات مما يخفي قلقاً عميقاً[3].

تؤثر المدرسة تأثيراً كبيراً على نمو الطفل الاجتماعي وأنماط سلوكه وشخصيته؛ فعن طريق المدرسة يتدرب الطفل على أنماط التفاعل الاجتماعي وأفراد آخرين بطريقة مغايرة لمستوى التفاعل الأسري.

يتدرب الطفل على الأخذ والعطاء والتنافس والتعاون والكفاح والمثابرة[4]؛ إذ إن المدرسة بيئة حافلة بأنواع المنافسات والخبرات، وفيها يمارس الطفل الميول

---

(1) Educational psychology. Robert. E. SIAVIN, 1989.

(2) Infopedia, Funk and wagnalls Ecyclopedia Child Copyright 1994, psychology.

(3) علي منصور، علم النفس التربوي، جامعة دمشق، دمشق، 993 ـ 1994 .

(4) خليل ميخائيل معوض، سيكولوجية النمو في الطفولة والمراهقة، الطبعة الثانية، 4 ـ 1983 .

والهوايات، ويتدرب على الحقوق والواجبات؛ فدور المدرسة مهم في تزويد الأطفال بالخبرات الاجتماعية، وصقل الميول والمهارات والقدرات وفي تطبيع الطفل على الكثير من قواعد السلوك الأخلاقي والاجتماعي.

ومن مظاهر النمو الاجتماعي نذكر:

ـ **الميل إلى الإتصال بالكبار:** يميل الطفل إلى الاتصال بالكبار وذلك لكسب قيمهم واتجاهاتهم مثل الأب والشباب والرجال، وكذلك تميل الفتاة إلى الاستماع والاجتماع مع من هن أكبر منها سناً.

ـ **اللعب:** بالرغم من أن اللعب يعتبر من الميول الفطرية القوية للفرد، لكنه يتأثر ببعض القيم الاجتماعية مثل التعاون والتنافس والظهور والقيادة والتبعية؛ فاللعب خلال هذه المرحلة يكون جماعياً ويتمثل في الألعاب المنظمة والخاضعة للقواعد والقوانين، وتكون الألعاب على شكل زمر وجماعات، وهذه الظاهرة واضحة عند الذكور أكثر منها عند الإناث.

ويزداد تأثير الجماعة على الطفل فنجده يتمثل آرائها وقرارتها، وعن طريق اللعب يستطيع الطفل تحديد مكانته الاجتماعية بين أقرانه.

ـ **الميل إلى جمع الأشياء:** أوضح تشارلز داروين الميول الفطرية للجمع لدى كثير من الطيور والثدييات، وتبين أهميتها في بقاء الكائن الحي، وأن هناك ميلاً شبيهاً بنظيره عند الإنسان وهو حاجته إلى التملك. وقد درس ستانلي هول ميول الأطفال نحو جمع الأشياء، وأوضحت النتائج أن حوالى 90٪ من الطلاب قد كوّنوا ميلهم إلى التملك وجمع الأشياء في طفولتهم.

ـ **الصداقات:** تتأثر الصداقة باختلاف الجنس؛ فالطفل في سن الثامنة من عمره يجد غضاضة في اللعب مع الإناث، ويفضل تكوين صداقات مع الذكور الذين في مثل سنه. ويكوّن الأطفال جماعات تبقى ثابتة حتى بداية المراهقة.

ـ **الزعامة:** تبدأ سمات الزعمات في الظهور في أوائل السنة السادسة من العمر، ومن مقومات الزعامة: ضخامة الجسم، زيادة النشاط والحيوية، النضج الانفعالي، وارتفاع الذكاء. وتدل دراسات[1] كالوليل (Callwell) و لمان (Welman) أن نسبة ذكاء

---

(1) Pierre GALIMARD, 6 à 11 ans, Privat, Paris, 1993.

قادة الطلبة تقع بين 120 و140، ولكن عندما يزداد الذكاء أكثر من ذلك تتسع الهوة بين القائد وبين الجماعة، فيجد صعوبة في التجاوب، ولذا يمكن للزعيم أن يكون أكثر ذكاءً من الجماعة بقليل.

في هذه المرحلة تشغل المشكلات الدراسية القسم الأكبر من حياة الطفل، وما يشغله أيضاً هي عملية التكيف مع الجماعة أو مع مجموعات الرفاق؛ فإذا نجح في هذه المهمة فإن هذا سيكون زاداً مهماً له للتكيف في حياته المهنية وفي مختلف أنواع المحيط الاجتماعي الذي سيتواجد فيها في سن الرشد، ولن يلاقي صعوبات ومشكلات كبيرة.

أما في المنزل فإن الطفل يستريح ولا يبذل الجهد الكبير في حياته العائلية لأنه سبق وحل الكثير من مشكلات التكيف مع الأسرة. ويبقى أن نقول إن من خصائصه في المنزل والتي تختلف عن خصائصه خارجه أنه: متقلب المزاج، متطلب، مستبد. ويطلب أن يخدمه الآخرون ويعبِّر عن عدم رضاه بصورة دائمة. بينما هو خارج المنزل مهذب ويتقن التعامل مع الآخرين ليكسب ودهم ومحبتهم.

يشعر الأطفال في هذه المرحلة بصعوبة كونهم أصبحوا كباراً، ويشعرون كذلك بأنهم يبذلون مجهوداً كبيراً من أجل ذلك.

طفل الـ 6، 7 سنوات يمرّ بأزمة انفعالية حقيقية. ويعاني البعض منهم من مشكلات نذكر بعضها:

- **الطفل الذي يحب السيطرة:** يفرض إرادته على الآخرين، وخصوصاً على الأخوة والأخوات الأصغر منه سناً.
- **الطفل الخجول:** هو الذي يعاني من الشعور بالدونية، ويكون قلقاً غير قادرٍ على اتخاذ القرار، وهذا النوع بحاجة إلى مساندة كبيرة من الأسرة، وبحاجة إلى الشعور بالثقة، والحماية.
- **الطفل غير المتزن:** فهو يواجه العالم مع مشاعر عميقة بالعجز والقلق.
- **الطفل الذي يعاني من صراع بين مشاعر تحقيق الذات وبين قوى النكوص والتراجع (Regression):** بالرغم من أن مظاهر الاضطراب الانفعالي واضطرابات المزاج تكون غير ظاهرة تماماً إلاّ أننا كثيراً ما نلاحظ عند هؤلاء الأطفال بعض الأعراض مثل: اضطرابات النوم، حركات غير متناسقة، لازمات، وعدم استقرار

حركي، التي هي في الغالب تعبير عن تفريغ للطاقة العضلية نتيجة للضغوطات اليومية التي يصعب عليه تحملها. ومن المفيد أن نذكر بأنه يجب عدم الإصرار على أن يترك الطفل هذه الأعراض عن طريق الملاحظات الملاحقة التي يبديها الوالدان أو عن طريق التوبيخ المستمر، ولكن يجب تركها تمر كاضطرابات غير ذي بال، وحتى أنها تكون مفيدة في بعض الأحيان، ولكن عند حال استمرارها فهي تدل على تهيج في الجهاز العصبي.

إن ما يشغل طفل هذه المرحلة هو توكيد الذات، وطفل 7، 8 سنوات يتكيف بشكل ممتاز مع حياته الدراسية، فهو واثق من نفسه، وفخور بمعارفه العلمية الجديدة، وبصفه حتى وإن كان ينتقد ذلك، فهو كثير الفضول، كثير الحركة؛ وهذه السن تتميز بكثرة الحركة، والشجار، والصداقات التي تنعقد بسرعة وتتفك بسرعة.

وتزداد تجارب الطفل الاجتماعية حتى إن الأسرة تشعر بذلك. ويستطيع الطفل تأجيل رغباته الآنية، وهو قادر على العطاء بدلاً من الأخذ، وكذلك فهو يستطيع التعاون بدلاً من السيطرة، ويحرص أن يشعر بأنه مقبول ضمن جماعة الرفاق.

تكوين الحس الأخلاقي:

في هذه السن يتكوّن الحس الأخلاقي. ومن المعلوم أننا نسمي سن الـ 7 سنوات بأنه «سن العقل»، حيث يستطيع الطفل التمييز بين الخير وبين الشر، ولكن هذه ليست سوى البداية لاكتساب الحس الأخلاقي.

وفي هذه الصدد يقول أرنولد جيزيل بأنه في سن 8، 9 سنوات يعرف الطفل بأن الخير والشر ليسا فقط ما يمنع عنه الوالدان، بل يتواجدان داخل الطفل كقيم خاصة به؛ فالحس الأخلاقي ينمو عند الطفل كسائر مظاهر النمو النفسي، وهو يتطلب نضجاً وتعلماً، فهنا أيضاً ثمة مراحل متدرجة تؤدي إلى ظهور الحس الأخلاقي الداخلي؛ فتطور ونمو السيطرة على الذات يمكّنان الطفل من تأجيل رغباته الآنية وحتى أنهما يمكّنانه من أن يتخلى عنها، وحتى أنه أصبح يستطيع تحمل بعض الآلام والحرمان من الأشياء التي يرغب فيها، إما لأنه يرغب في إرضاء الأهل، وإما رغبة في لذات آتية في المستقبل.

ويواجه الطفل ضغوطات المسموح والممنوع: وهذا تعلم يواجه فيه الطفل صعوبات كثيرة، وهو مرتبطٌ بما يتطلبه الكبار من الطفل وليس نابعاً من داخله أو من

تجاربه، ويعرف أنه إذا لم يخضع لهذه القوانين والقواعد فإنه سيتعرض للعقاب.

وسوف يتعلم هنا قواعد وقوانين الحياة التي يتعلم أن يخضع لها إذا أراد أو لم يرد، فهي أمور من الضروري الانصياع لها.

اكتساب الطفل للانضباط يكوّن عنده الحس الأخلاقي، حيث سيطرة الأنا الأعلى، التي تُدخل أوامر ونواهي الوالدين وتملي على الأنا ما ينبغي القيام به وما لا ينبغي عمله، وهذه مرحلة ضرورية من أجل تكوين الأخلاق الحقيقية التي ترتكز إلى مبادىء وليست ترتكز إلى النواهي والأوامر.

ونرى هنا كم تلعب شخصية الأهل في تكوين البنيات الأخلاقية حيث الشعور بالواجب لا يزال ضعيفاً؛ فعندما يسمح الجو العائلي بكل شيء ولا يراقب سلوك الطفل، ولا يعاقب أبداً فإن إرادة الطفل تبقى ضعيفة، فيسود مبدأ اللذة، ويصبح ما يسبب اللذة هو الصحيح، وقد يؤدي هذا إلى الانحراف في السلوك وقد نجد هؤلاء الأطفال لاحقاً بين الأحداث الجانحين.

وعلى العكس من ذلك، فإن الجو الأسري الذي تسيطر عليه السلطة الغاشمة والعقاب من أجل أتفه الأسباب، فإن الإرادة تكون غير قادرة على اتخاذ قرار وينمو الشعور بالذنب، وتكون الأنا الأعلى قاسية ومتصلبة، وهنا يصبح كل ما يسبب اللذة ممنوعاً.

الكذب، السرقة الطاعة:

قبل 8، 9 سنوات لا يستطيع الطفل التمييز بين الخطأ وبين الكذب؛ فالحقيقة ليست مطلقة بالنسبة له، ولكنها نسبية ومتغيرة؛ إنه ظل لمدة طويلة يعتقد بأن الكذب هو ما لا يصدقه الأهل وما يمنعونه، وهو يخلط بين الكذب وبين الكلام الذي يمنعه الأهل (أي الكلمات النابية) (فالكذب هو الكلام البذيء)، وهو غير قادر على فهم الأحكام الأخلاقية المتعلقة به؛ فبالنسبة لطفل الـ 7 سنوات، أنه يعتبر كذباً إذا قلنا أن القمر مضيء أكثر من الشمس، وكذلك يعتبر كذباً محاولته لإخفاء بعض الأخطاء (بقعة على السجادة) والخطأ بالنسبة له يكتسب أهميته من النتيجة المادية وليس من النية أو القصد (بياجيه: **الحكم الأخلاقي عند الطفل**).

ويخطىء الأهل إذا اعتقدوا بأن الطفل لا يكذب ولا يخطىء، لأن الطفل بذلك يعتبر حقيقة كل ما يصدّقه الأهل، وهذا لن يساعد الطفل في تكوين الحقيقة الموضوعية

وفي الخروج من الأنوية والتمركز حول الذات؛ ففي سن التاسعة فقط يصبح الطفل قادراً على الكذب الحقيقي، أي تحريف الحقيقة من أجل خداع الآخرين.

والكذب الأكثر استخداماً من قبل الأطفال هو «كذب، النفي» «لست من فعل ذلك»، وهي توازي الشعور بالقلق والكف (Inhibition)، فهو لا يكذب بسبب الخوف من العقاب؛ إذ أنه يكذب أيضاً عندما لا يكون هناك عقابٌ، وهذا يعود إلى عدم القدرة عن التعبير عن الذات «نعم أنا مذنب، وهذا أنا من فعل ذلك»؛ مثل الأطفال الذين لا يستطيعون القول «مساء الخير» أو «صباح الخير» مهما مارسنا عليهم التهديد إذا لم يفعلوا ذلك.

عدم الاعتراف هنا معناه إلغاء الفعل بدلاً من الاعتراف به، وهو لا يستطيع عيش الفعل مرة أخرى.

هذان النوعان من الكذب: الخاطىء والنفي يحدثان كثيراً عند الأطفال في هذه المرحلة، ويجب التعامل معهما بحذر. فهناك بعض الأسئلة التي يجب تجنب طرحها. فمعرفة كل شيء ومراقبة كل شيء ليس الطريق الصحيحة للمحافظة على ثقة الطفل ومعرفته.

أما «الكذب العاطفي» فهو يطرح مشكلات أخرى: «منى تخبر رفيقات الصف بأن والدها قد اشترى سيارة رائعة، وأن أمها اشترت العديد من الثياب والمجوهرات».

«هادية تخبر والديها بأنها رأت حادثاً مريعاً، وأن صديقتها في المستشفى...».

هل ينفع العقاب في مثل هذه الحالات؟ يجب أولاً فهم ما تحس به كلٌّ من منى وهادية كي يصبح بالإمكان مساعدتهما فعند منى رغبة في أن تنظر إليها رفيقاتها باحترام، وكأنها تعتبر رغبتها هذه حقيقة، ولكن هذا ليس سوى الجانب السطحي للمشكلة، فقد يكون هذا عبارة عن رغبة عابرة ولن يتكرر الكذب، ولكن قد يكون هذا عبارة عن معاناة عميقة، مثلاً الشعور بأنها غير مهمة بالنسبة للآخرين، وبأن لا أحد يهتم بها، وبأنها غبية وقبيحة ولا أحد يحبها، وعلى هذا الأساس فإن هذا الكذب سيتكرر لاحقاً، ولكن هنا يجب معالجة الجرح الذي يظهره الكذب وليس الكذب نفسه.

«الكذب الواشي» الذي يمكّن صاحبه من إنقاذ نفسه على حساب الآخرين، والذي يكشف قلقاً عميقاً وعدوانية تجاه الآخرين، وهذا يتطلب معرفة الدوافع العميقة كي يصبح بالإمكان معالجته؛ وكذلك الأمر بالنسبة للسرقات التي يمارسها الأطفال؛

فالأطفال الذين يسطون على أغراض الآخرين كثيرون: وبعض هذه السرقات يتعرف الأهل إليها والبعض الآخر يجهلونه؛ ففي سن 6، 7 سنوات، تعمل التربية على أن يكون الطفل أميناً وذلك لا يكون بالمواعظ الأخلاقية ولكن بالكثير من التعقل، فعندما يستمر الطفل في السرقة بعد سن الـ 7 سنوات، يجب إعطاء الأمر الأهمية اللازمة، بدون التهديد، وبأن هذا يسبب العار للأسرة.

وأن إعطاء الطفل النقود اللازمة لمصروفه وتعليمه كيف يراقب مصروفه، يساعده على كيفية التعامل مع النقود، وأن يترك بعض الممارسات الخاطئة غير النافعة. وفي بعض الأحيان يجب دراسة الحالة بتعمق ومعرفة دوافع السرقة العميقة: دافع قوي أمام رغبة عارمة، التعويض العاطفي، وبعض الأحيان أخذ أشياء لأشخاص نحبهم مثل (الأم، المعلمة) وفي بعض الأحيان تكون السرقة تعبيراً عن عدوانية.

الطاعة:

القاعدة العامة في الطفولة والتي تختصر القانون هي: الطاعة.

ولكن تبقى لذة الطفل الكبرى هي في عدم الطاعة ومخالفة الأوامر، ولكن رغبة الطفل هي امتلاك «الأم والأب».

أما بالنسبة للعمل المدرسي، وقبل أن نسأل لماذا لا يطيع الطفل؟ يجب أن نسأل «لماذا يطيع الطفل؟».

ويبقى أن نعرف بأن «الطاعة» ليست أمراً عفوياً، وهي عكس رغبتنا التي ترتكز إلى أن نفعل ما يحلو لنا، وفي اللحظة نفسها يجب علينا أن نخضع لإرادة الآخر، وهو أمر في غاية الصعوبة. والبرهان على ذلك عندما نطلب من الطفل أن يكون نظيفاً وأن يقضي حاجته في مكان معيَّن، فهو يقول لنا «لا». وهي الكلمة الأولى التي يتعلمها الطفل من والديه، وهي ترتد إلينا.

لماذا الطاعة؟ وهي عكس إرادة الطفل في تأكيد الذات، وبالعكس، فإن عند الطفل رغبة في أن يطيعه الآخرون. وفي الثالثة من العمر يحمر وجه الطفل من الغضب عندما لا تنفِّذ أمه أو لا ينفِّذ أخوته رغباته.

وبالرغم من ذلك فإن الطفل يطيع ويخضع للكثير من الأوامر، دون أن يدري ويتجاهل الطفل إرادته ورغباته ويخضع لرغبات وأوامر والديه، وهو هنا يبذل جهداً كبيراً في سبيل ذلك: ولكن هناك سببان لذلك: الضغوط العائلية والاجتماعية، وحالة

الطفل المعتمد الذي يجب أن يخضع للأقوى، وكذلك فإن الطفل يطيع لأنه يحب والديه ومن أجل أن يرضيهما، وهذا أكثر فعالية من العقاب.

أما في مراحل الأزمات والثورة، فإن الطاعة تكون صعبة، وحولها تدور المشكلات الأسرية، حيث تمارس السلطة الوالدية. ولكن في بعض الفترات السعيدة تكون الطاعة سهلة جداً، وخصوصاً طاعة الوالدين اللذين نحبهما، أي الذوبان في إرادة الوالدين.

وهناك عدة طرق لعدم الطاعة منها السلبية وحتى الثورة المفتوحة على الأهل، ومن أجل إنقاذ المواقف الصعبة وعدوانية الطفل، يجب عدم مواجهة الطفل.

أما إذا كانت طاعة الطفل ناجمة عن الضغوط العائلية، فإننا نكون قد خسرنا كأهل في مجال تربية الطفل؛ إذ نكون قد فشلنا في استخدام المحرك الإيجابي الذي هو التعاون ضمن الحب المتبادل.

المشكلات الجنسية:

تتميز الطفولة المتوسطة بالهدوء في المستوى الجنسي، وبعد مظاهر النمو الجنسي في الطفولة المبكرة وقبل مرحلة البلوغ: فالنمو الجنسي يتأخر بالنسبة للنمو العام؛ فالهدوء النفسي يظهر في عدم اهتمام الأطفال من سن 6 إلى 12 سنة بالأمور والمسائل الجنسية.

ولكن هذا الهدوء لا يعني غياب المشكلات وعلى المربي المتبصر أن يهتم بالمستقبل من أجل التحضير لمشكلات المراهقة.

فالتربية الجنسية ليست في أن تناقش الطفل في عمر 13 أو 14 سنة في الأمور الجنسية، أو أن نناقشه قبل الزواج، وهي ليست أيضاً إعطاء المعرفة العلمية المتعلقة بالجهاز التناسلي، بالرغم من أن هذه المعرفة تبقى ضرورية ولكنها غير كافية: وكأننا نعتقد بأن الذين يعانون من مشكلات جنسية إنما يلزمهم أن يقرؤوا الكتب التي تعالج الأمور الفيزيولوجية والتشريحية المتعلقة بالجهاز التناسلي.

فالتربية الجنسية هي الإجابة على أسئلة الطفل الجنسية بشكل يناسب سنه. والتربية الجنسية هي جزء من تربية الأحاسيس والإرادة والتي لا تنجز في يوم واحد؛ إذ يجب أن تحصل تدريجاً، وباكراً، وفي محيط عائلي وتؤدي إلى اتزان جنسي؛ ولا نعني هنا بالاتزان غياب المشكلات والمصاعب إنما نعني الرؤية الصحيحة لهذه المشكلات

والمصاعب والسيطرة عليها.

يظهر الفضول الجنسي عند الطفل باكراً، حتى عندما لا يعبّر عنه؛ فمن المفيد أن نساعد الطفل لكي يعي الأسئلة التي يريد طرحها، أو النظريات التي يقوم بتكوينها، وأن ننجح في جعله يتكلم.

وأول سلسلة من المشكلات التي تشغله، بعد الفروق الجنسية هي مساءلة: من أين جاء؟ «من أين يأتي الأطفال؟» وعندما يعرف بأن الطفل يتكوَّن في بطن أمه يأتي السؤال: «من أين يخرج؟» فيجهز لنفسه إجابات ومن أقدمها: أن الطفل يخرج من السرة أو من الشرج، أو أن البطن ينفجر كفقاعة صابون. وبعد ذلك يطرح سؤلاً آخر وهو: «كيف دخل الطفل إلى بطن الأم؟» وغالباً قبل سن السادسة يدرك الطفل أن للأب دوراً في ذلك. وقبل سن العاشرة يدرك الطفل دور الأب في ذلك.

ثم تبدأ سلسلة أخرى من المشكلات بالظهور، دون أن تجد لها الإجابات المناسبة، وهي أقل عقلانية وتطال المجال العاطفي؛ وهي المشكلات التي تدور حول العلاقات الجنسية بين الأم وبين الأب: «ماذا يفعل الوالدان عندما يكونان بمفردهما، وينامان في سرير واحد؟»؛ وما يشك فيه الطفل منذ السنوات الأولى يملأه بالفضول والخوف. ويشعر أطفال 4، 5 سنوات بالقلق وقد يصابون باضطراب في النوم بسبب رؤيتهم أو تخيلهم لبعض المشاهد، وتأخذ ردات فعل الطفل مظهراً عدائياً، أو أنه قد ينفجر في البكاء، أو قد يصاب بالهلع. وخلال نموه وعندما يكبر الطفل فإنه يأخذ مسافة من والديه. وممارسة الحب تفقد الكثير من أهميتها بالنسبة له وتأخذ شكلاً عقلانياً.

مهما يكن من أمر، فإن هذه الأسئلة لا تبقى في مستوى الفضول العقلي، مثل الأسئلة التي تتعلق: كيف تسير السفن؟ أو كيف يعمل المحرك؟ ولكنها تبقى مختلطة بالكثير من الانفعالات وقد تسبب للطفل القلق، ويعتبرها الطفل من المحرمات، حتى وإن كان الأهل متساهلين؛ هذا ويعبِّر الطفل بصورة عامة عن أسئلته هذه بالكثير من الصعوبة.

من هنا، فإن على الوالدين أن يتكلموا وأن يتكلموا قبل الطفل، ولكن في أي عمر؟ ويبقى أن تحديد السن المناسب لذلك يختلف من طفل إلى آخر؛ ولكن يحب أن يفهم الطفل مبادىء العلاقة الجنسية قبل سن البلوغ؛ فالنقاشات بين الرفاق تبدأ في سن 11، 12 سنة ولكن هذه المعرفة غير مستحبة خصوصاً لأنها تكون غير علمية.

كيف يتكلم الوالدان عن ذلك؟. في البداية يجب أن يجيب الوالدان على أسئلة الطفل، والمخاطر قليلة حين يتكلم الأهل عن ذلك باكراً، وخصوصاً أن الطفل ينسى ما قلناه له ويعيد طرح الأسئلة نفسها، والمخاطر تكون أكبر عندما نتطرق إلى هذه المواضيع في وقت متأخر أو أن لا نتكلم أبداً. ومن المفيد أن نستعين بالكتب العلمية والتربوية ـ التي يجب على الأهل قراءتها أو أن يقرأها الطفل.

ولكن يجب أن لا تقتصر الشروحات على الناحية الفيزيولوجية، فقط، بل يجب أن تكون خلفيتها الحب، أن نبين مثلاً بأن الحياة المشتركة بين الأم وبين الطفل هي نتيجة علاقة عاطفية قوية؛ وبأن العلاقة الجنسية تعبِّر عن الانجذاب والذوبان لكائنين في كائن واحد.

ولكن فضول الطفل لا ينحصر في المعرفة فقط؛ بل نجد عند طفل هذه المرحلة(6، 12 سنة) بعض المظاهر الجنسية، بالرغم من أن هذا قليل الحدوث.

فالاستنماء (Masturbation) أو ملامسة الأعضاء الجنسية نجدهما عند الأطفال في عمر (4، 5 سنوات) وكذلك عند الرضع، وبعد ذلك عند معظم المراهقين. وقد نجدهما في مختلف الأعمار. أما في المرحلة التي ندرس (6، 12 سنة) فعندما تستمر فإنها تعبير عن اضطراب نفسي ـ فيزيولوجي فعلي ومن هنا يجب استشارة طبيب مختص.

أما «الألعاب الممنوعة» بين الصبيان وبين البنات، والتي أساسها الفضول الجنسي، والاستعراض (التعري، أو عرض الأعضاء الجنسية، وفي مرات قليلة تقليد الكبار في ما يتعلق بالعلاقة الجنسية) وهي قليلة الحدوث في هذه المرحلة، وتظهر بشكل عرضي وتفقد أهميتها بالنسبة للطفل.

وتبقى هذه المظاهر غير ذي بال، سوى في حين يكون أطفال هذه المرحلة على الاختلاط بمن هم أكبر منهم سناً (مراهقين مثلاً)، وفي هذه الحالة قد يسبب هذا اضطرابات عميقة عند الطفل.

والخطران الكبيران هنا، هو أولاً: جهل الطفل الذي قد يؤدي به إلى صدمة عميقة؛ ثانياً، الممارسة الجنسية المبكرة المتكررة الاستحواذية (obsessionnelles). . وفي هذه الحالة يجب إخضاع الطفل لعلاج نفسي.

ونجد هنا أهمية الحوار بين الوالدين وبين الطفل وخصوصاً إذا شعر الطفل بالثقة

فإنه قد يخبرهم بالسر الذي يثقل عليه حمله بمفرده، وهنا بالإمكان أن يتدخل الأهل وينقذوا الطفل.

ولكن المشكلات الجنسية لا تحل من خلال التربية التي نعطيها للطفل في هذه المرحلة، فهي (المشكلات) ستطرح نفسها مجدداً وبحدة في مرحلة البلوغ والتي لن يكون من السهل إيجاد حلول سريعة لها. ولكننا نكون قد ساهمنا في معالجتها بعقلانية، ونكون قد جنَّبنا الطفل المصاعب المقبلة.

اكتشاف الحياة في الجماعة وتعلمها:

طفل الـ 6 سنوات سيصبح رجلاً أو امرأة يعيشان في عالم تحكمه القواعد والقوانين والعادات، في مجتمع إنساني، حيث سيقيم أو ستقيم مع الآخرين الكثير من العلاقات العاطفية والعقلية، في هذا المحيط الذي سيعيش فيه الطفل في المستقبل سوف يحب، يكافح، ويقاتل.

والمدرسة هي صورة لهذا المجتمع الذي على الطفل أن ينتمي إليه، وليست فقط الصورة بل هي المجتمع نفسه، وهي أي المدرسة تتألف من أفراد يشبهونه، والذين سوف يرافقونه، والذين سوف يجدهم في مراحل حياته المختلفة وحيث سيأخذ مكانه بينهم.

واكتشاف الآخرين لن يمر دون صدامات وقلق. وهذا التعلم (تعلم الحياة الاجتماعية) لا ينجز في يوم واحد، ولا يختزن فقط الرفقة التي تسبق الصداقة، والجهد من أجل العيش المشترك، ولكنها مليئة بالاحتكاك المؤلم، الشجار، والخسة والظلم؛ وهي طريق طويلة حافلة بالنجاح والفشل، حيث سيتعرف الطفل على حدود إمكاناته وسيتعرف من خلال ذلك على بعض خصائصه.

التكيف مع عالم الصف:

تثير بداية الحياة المدرسية ردات فعل عنيفة (مروان يرفض أوامر المدرس ويرمي حذاءه في وسط الصف؛ غسان يبقى ملتصقاً بباب الصف ويرفض أن يجلس مكانه ويبكي، وبعد ذلك يبكي بصمت...).

وصعوبات التكيف هذه يمكن لها أن تدوم طويلاً. ويكتشف الطفل تدريجاً وجود الأطفال الآخرين، ويلاحظ بأن لديهم سلوكيات مشابهة لسلوكياته، ومن هنا من الممكن التعاطف معهم.

ولا شك أن التربية في الأسرة تلعب دوراً مهماً في قدرة الطفل على هذا التكيف. ولكن نلاحظ في بعض الأحيان ردات فعل وخشية، وخوفاً، وعنفاً، التي تنبع من الانقطاع عن المنزل، الذي لم يهيِّىء الطفل للعلاقات الاجتماعية، أو التي قد تدل على وجود مشكلات انفعالية حقيقية.

ولكن في الغالب فإن الأمر يتعلق بردات فعل فردية؛ فالأطفال الذين يعانون من القلق، أو من الخجل سوف يكون من الصعب عليهم التكيف، وسيكونون عرضة لسلوكيات غير متوقعة.

(يخاف دائماً أن يصل متأخراً أو أن ينسى قلمه أو ممحاته، أو أن يكون متفرداً بالنسبة للأطفال الآخرين، فهو يستيقظ مبكراً ساعة عن الأوقات العادية، ويرفض أن يذهب إلى المدرسة إذا نسيت أمه أن تحضر له ما طلبته المعلمة).

ويعاني الأطفال الذين مستوى ذكائهم أقل من العادي من صعوبات في التكيف مع العمل المدرسي الجماعي، وهم بالتالي لا يفهمون ما يطلب منهم القيام به.

وحدة المجموعة في المدرسة، هي الصف؛ وهو ليس مجموعة تكوَّنت بشكل عفوي، إنما الصف وحدة عضوية تدور حول المعلم الذي لم يختاره الطفل، والمعلم هو الذي يمكن أن يقيم الانسجام في هذه الوحدة الاجتماعية: فهو القائد انطلاقاً من موقعه وسنه وقوته ومن وظيفته التي تعطيه السلطة، ويقيم علاقات بتلاميذه تتسم بالعواطف؛ وهو الذي من خلال موقعه ينظم العلاقات بين الأطفال، وهي العلاقات التي ترتكز في الأساس إلى النتائج الدراسية؛ فالطفل الذي يحصل على نتائج دراسية مرضية يتمتع بهيبة أمام الذين لم يحرزوها. والذي يشير المعلم إليه بأنه غير قادر على الإنجاز في الصف والذي يهزأ منه، فهو محتقر أيضاً من قبل مجموعة التلاميذ.

ولكن أثناء الفرصة عندما لا يخضع الصف لسلطة المعلم، فإن نظاماً جديداً يقام، إنه نظام شبيه بما يحدث في المجتمعات البدائية، وينشب بعض الشجار بين الأقوياء يحدد (الشجار) القائد، الذي يستطيع أن يفرض إرادته على أي عضو في المجموعة.

وينتظم التلاميذ في الملعب في هرمية من الأول إلى الأخير بحسب قوة ومهارة وذكاء كل منهم؛ ولكن مجموعة الصف هذه ليست ثابتة وتبقى في أغلب الأحيان غير محددة بدقة، فليس فيها قائد دائم أو كبش فداء دائم، وهذه المجموعة تتألف من مجموعات صغيرة متنافسة وأفراد منعزلين. والهيبة الفكرية تلعب دوراً، ذلك أن الطفل اللامع، حتى وإن كان قليل المهارات الاجتماعية فهو يجد دائماً من يدافع عنه في

مواجهة الأقوياء خلال اللعب أثناء الفرصة، وعلى العكس من ذلك أثناء السير على الطريق فهو سيكون ضحية للأقوياء، وخصوصاً إذا كان بمفرده.

وتظهر العقلية الجماعية بشكل بارز في سلوك المجموعة أمام تلميذ جديد. وهي تتميز بالعدائية التي تستقبل هذا الجديد، الذي يشعر بأنه معزول ومنبوذ من الجميع، وحتى من المعلم في بعض الأحيان وخصوصاً إذا وصل في منتصف السنة ولم يتمكّن من تسجيل انتمائه إلى المجموعة إلا شيئاً فشيئاً، ويجب عليه هنا أن يحقق لنفسه موقعاً من خلال النجاح الدراسي، هذا النجاح الذي سيعطيه موقعاً بالنسبة للمعلم وللتلاميذ أيضاً، وإما عن طريق تحقيق المكتسبات في الملعب، مما سيجعله فرداً في المجموعة.

ونبذ التلميذ الجديد إن دل على شيء فإنما يدل على تماسك المجموعة. وهذا السلوك غير موجود في رياض الأطفال حيث إن الطفل الجديد لا يثير سوى بعض المواقف العدائية الفردية. ولكن الصف (الفصل) في المدرسة الابتدائية يمثل وحدة متماسكة، وجسماً عضوياً، ويرفض هذا الجسم أن يخترقه أي عنصر جديد غريب.

لا يمثّل التلاميذ في المدرسة الابتدائية كائنات غريبة عن بعضها البعض بل هي عناصر نسجت بينها التجربة المشتركة الكثير من الوشائج. فهم قد انطلقوا في المغامرة نفسها، بهمومهم المشتركة، وبنجاحاتهم المشتركة، وبتقاليد بنيت بمرور الأيام والتي تعود إلى كل واحد منهم. ففي البداية هناك المعلم (المدرس) الذي يجبر التلاميذ على المشاركة في العمل ذاته، وأن يخضعوا لشروط العمل نفسها، وأن يتعاونوا. فهم يتواجدون يومياً معاً، وهم يشعرون بالحاجة إلى بعضهم البعض، على الأقل من أجل تجنب العقاب، أو لمجابهة هجمات الصفوف الأخرى.

من النادر أن نجد طفلاً دون رفاق أو أصدقاء يحاول أن يكون معهم أثناء الفرصة أو بعد الخروج من المدرسة، فيلعب معهم ويتكلم معهم، ولكن هذه الصداقة لا تستمر مدى الحياة، وهم على الأرجح رفاق أكثر منهم أصدقاء. وهذه أول تجربة مع الصداقة، مع الآخر الذي اخترناه بإرادتنا ولم يفرضه علينا الأهل.

هذه العلاقات بين الأطفال لا تكتسب معنى الصداقة ولكنها التجربة الأولى في اكتشاف الآخر وخصائصه، وهي تتسم بعدم الثبات والاستقرار، وتستمر طالما استمر الأطفال في الصف نفسه أو في المدرسة نفسها، وتنقطع إذا ما تم تغيير الصف أو المدرسة. وحتى في حال استمرار هذه العلاقات فإنها نادراً ما تتعدى مرحلة المراهقة.

في عالم الرفاق هذا يكون الطفل فيها عضواً في مجموعة بخصائصه الفردية، وهو

هنا يتعلم الحياة الاجتماعية، ويُفاجَأ المحيط الأسري بشخصية جديدة، وهو هنا يحمل اسم الأسرة، وليس هو بعدُ الطفل الأول أو الصغير الذي في المنزل.

أما بالنسبة للرفاق فمن غير المهم الأسرة التي ينتمي إليها، وإنما يعرفون أسرته انطلاقاً منه، فهذه أم ضرار وهذا والد سارة.

ويحتل أهل الرفاق الحيِّز القليل من الأهمية بالنسبة للمجموعة، وبعض الأطفال يخجل من أهله ولا يريد لهم أن يتفاعلوا والمحيط المدرسي.

وهذا الانفصال بين الحياة المدرسية وبين الحياة الأسرية كثير الحدوث، وخصوصاً عند الفتيان، وعلى عكس ذلك فإن الفتيات تقص الكثير من الأمور التي تحدث في المدرسة على الأسرة، فبعد بضعة أسابيع يعرف كل أفراد الأسرة أسماء الرفيقات والمعلمات، أما الفتيان فإنهم يخجلون من التكلم عن الأمور المدرسية، وبالرغم من محاولات الأهل فإنهم نادراً ما يتكلمون عن حياتهم المدرسية.

العمل المدرسي:

لا يحتل العمل المدرسي المكانة الوحيدة في حياة الطفل، فللعب دور مهم أيضاً عند أطفال 6 ـ 12 سنة.

وبالرغم من أن للعب وقع غير جيد عند البالغين، فهو بالنسبة لهم مضيعة للوقت، يقول الكبار للطفل الذي يريدون أن يتخلصوا من وجوده أثناء أحاديثهم: اذهب، والعب. ولكن البعض من الأهل يشكون من أن طفلهم يلعب بصورة دائمة ولا يستطيع العمل. ولكن من المفيد أن نعرف أن التوازن بين اللعب وبين العمل هو ما نريد. ومن الصعب أن يدرك الطفل أهمية العمل، بينما يشكل اللعب خاصة طبيعية وعفوية.

وإذا أدرك الأهل الأهمية والفائدة من اللعب، فإن هذا لا يعني أننا يجب أن لا نعلم الطفل أهمية العمل، أي الخضوع لنظام معين يتطلب الجهد دون الحصول على الاكتفاء المباشر. ولكن من غير المفيد أن نجعل العمل لعباً، ومن المفيد للطفل أن يحس بالفرق بينهما.

يعتقد بعض الأهل بأن العمل هو ما نحصل فيه على النقود؛ من هنا فإنهم ينظرون إلى العمل المدرسي على أنه غير ذي أهمية وكذلك إلى اللعب، بالرغم من أن للعب وظيفة ضرورية لتحقيق النمو السليم وهو الذي يقود إلى استيعاب الواقع بواسطة «الأنا».

يميِّز بياجيه (Jean Piaget 1896- 1980) بين ثلاثة أنواع من الألعاب: ألعاب